الباب الثالث عشر

فارس

الفصل الأول

قيام دولة الميديين وسقوطها(*)

أصولهم – حكامهم – معاهدة هرديس الدموية – انحطاطهم

ترى من هم الميديون الذين كان لهم شأن أيما شأن فى تحطيم دولة أشور .

أما معرفة أصلهم فأمر معجز الدرك عزيز المطلب ، ذلك أن التاريخ كتاب يجب أن يبدأه الإنسان من وسطه . وأول ما وصل إلينا من أخبارهم فى لوحة تسجل حملة بعث بها شلمانصر الثالث إلى بلد يسمى پارسوا فى جبال كردستان (٨٣٧ ق . م) . ويلوح أنه كان فى ذلك البلد سبعة وعشرون من الرؤساء – الملوك ، يحكمون سبعاً وعشرين ولاية قليلة السكان يسمى أهلها أمادای أو مادای أو ميديين . وهم أقوام من الجنس الهندوربّى يرجح أنهم جاءوا من شواطئ بحر الخزر إلى غربى آسية قبل المسيح بنحو ألف عام ، ويشيد الزند – أبستاق وهو كتاب الفرس المقدس بذكر هذا الموطن القديم ويصفه بأنه جنة من الجنان .

ذلك أن الأرض التى نقضى فيها شبابنا ، وأيام هذا الشباب نفسه ، جميلة على الدوام على شريطة ألا نضطر إلى الحياة من جديد فى تلك الأرض أو فى تلك الأيام .

(*) تسمى أحياناً دولة الماديين وقد ذكرت فى التوراة بهذا الاسم . (المترجم)

ويلوح أن الميديين كانوا يضربون فى إقليم بخار وسمرقند ، وأنهم توغلوا منه نحو الجنوب شيئاً فشيئاً ، حتى وصلوا آخر الأمر إلى بلاد فارس[1] ، فوجدوا النحاس والحديد والرصاص والذهب والفضة والرخام والحجارة الكريمة فى الجبال التى اتخذوها موطناً لهم جديداً[2] ، ولما كانوا قوماً أشداء بسطاء فى معيشتهم ، فقد أخذوا يفلحون أرض السهول وسفوح التلال وعاشوا منها عيشة رخيّة .

وفى إكباتانا(*) أى « ملتقى الطرق الكثيرة » الواقعة فى واد جميل المنظر أخصبته المياه الذائبة من الثلوج المغطية لقلل الجبال أنشأ ديوسيس أول ملوكهم عاصمته الأولى ، وزينها بقصر ملكى يشرف عليها ويغطى ثلثى ميل مربع من الأرض . ويقول هيرودوت فى فقرة من كتابه لم تجد ما يؤيدها : إن ديوسيس هذا قد وصل إلى ما وصل إليه من القوة بما اشتهر به من العدالة . فلما أن بلغ ما بلغ طغى وتجبر وأصدر أوامر تقضى « بأن لا يسمح لإنسان بالمثول بين يديه ، بل عليه أن يعرض أمره على يد رسله ، وأن يعد من سوء الأدب أن يضحك إنسان أو يبصق أمامه . وقد أراد بهذه المراسم التى فرضها حوله . . . أن يبدو لمن لا يرونه أنه من طبيعة غير طبيعتهم[3] » . واشتد ساعد الميديين فى أيامه بفضل حياتهم الطبيعية الاقتصادية ، وأصبحوا بتأثير عاداتهم وبيئتهم ذوى جلد وصبر على ضرورات الحروب ، فكانوا بزعامته خطراً يهدد أشور ، فأغارت هذه على بلاد ميديا مرة بعد مرة ، وظنت أنها قد هزمتها هزيمة منكرة لا تجرؤ معها على مناوأتها ولكنها وجدتها لا تمل الكفاح لنيل حريتها . واستطاع سياخار (سياكزارس) أعظم ملوك الميديين أن يحسم هذا النزاع بتدمير نينوى . وأوحى هذا النصر آمالاً كباراً فاجتاحت جيوشه بلاد آسية الغربية حتى وصلت إلى أبواب سرديس ، ولم يرد هذه الجيوش عنها إلا كسوف الشمس . فقد ارتاع القائدان المتقاتلان لهذا الذى ظناه نذيراً لهما من السماء ، فوقعا معاهدة للصلح أبرماها بأن شرب كل

(*) والراجح أنها مدينة همذان الحالية .

منهما جرعة من دماء عدوه(٤) . ومات كيخسرو فى السنة التالية بعد أن وسع رقعة دولته فى خلال حكمه وحده فأصبحت إمبراطورية تشمل أشور وميديا وفارس بعد أن كانت ولاية خاضعة لسلطان غيرها ؛ لكن هذه الإمبراطورية قضى عليها ولما يمض على وفاة هذا الملك جيل واحد .

وقد كانت هذه الدولة قصيرة الأجل ، فلم تستطع لهذا السبب أن تسهم فى الحضارة بقسط كبير ، إذا استثنينا ما قامت به من تمهيد السبيل إلى ثقافة بلاد الفرس . فقد أخذ الفرس عن الميديين لغتهم الآرية . وحرفهم الهجائية التى تبلغ عدتها ستة وثلاثين ، وهم الذين جعلوا الفرس يستبدلون فى الكتابة الرق والأقلام بألواح الطين(٥) ، ويستخدمون فى العمارة العمد على نطاق واسع . وعنهم أخذوا قانونهم الأخلاقى الذى يوصيهم بالاقتصاد وحسن التدبير ما أمكنهم فى وقت السلم ، وبالشجاعة التى لا حد لها فى زمن الحرب ؛ ودين زردشت وإلهيه أهورا — مزدا ، وأهرمان ، ونظام الأسرة الأبوى ، وتعدد الزوجات ، وطائفة من القوانين بينها وبين قوانينهم فى عهد إمبراطوريتهم المتأخر من التماثل ما جعل دانيال يجمع بينهما فى قوله المأثور عن « شريعة ميدى وفارس التى لا تنسخ »(٦) . أما أدبهم وفنهم فلم يبق منهما لا حرف ولا حجر .

على أن انحطاط الميديين كان أسرع من نهضتهم نفسها ؛ فقد أثبت استياجس ، الذى خلف أباه سياخار ، ما أثبته التاريخ من قبل ، وهو أن الملكية مغامرة لا تؤمن مغبتها ، وأن الذكاء المفرط والجنون يتقاربان كل القرب فى وراثة المُلك .

لقد ورث المُلك وهو مطمئن القلب هادئ البال ، وأخذ يستمتع بما ورث ، وحذت الأمة حذو ملكها فنسيت أخلاقها الجافة الشديدة وأساليب حياتها الخشنة الصارمة . ذلك أن الثروة قد أسرعت إليها إسراعاً لم يستطع أهلها معه أن يحسنوا استخدامها ، وأصبحت الطبقات العليا أسيرة الأنماط الحديثة والحياة المترفة ،

فلبس الرجال السراويل المطرزة الموشاة ، وتجملت النساء بالأصباغ والحلى ؛ بل إن الخيل نفسها كثيراً ما كانت تزين بالذهب(٧) . وبعد أن كان هؤلاء الرعاة البسطاء يجدون السرور كل السرور فى أن تحملهم مركبات بدائية ذات دواليب خشنة غليظة قطعت من سوق الأشجار(٨) ، أصبحوا الآن يركبون عربات فاخرة عظيمة الكلفة ينتقلون بها من وليمة إلى وليمة .

وبعد أن كان الملوك الأولون يفخرون بعدالتهم جاء استياجس فغضب يوماً على هرباجس فقدم له أشلاء ابنه بعد أن قطع رأسه وأرغمه على أن يأكل لحمه(٩) ، فأكله هرباجس وهو يقول إن كل ما يفعله المليك يسره ، ولكنه انتقم لنفسه بأن أعان قورش على خلع استياجس ؛ ذلك أن قورش الشاب النابه حاكم ولاية أنشان الفارسية التى كانت تابعة للميديين خرج على طاغية إكتابانا المخنث ، وابتهج الميديون أنفسهم بانتصاره على ذلك الطاغية وارتضوه ملكاً عليهم ، ولم يكد يرتفع من بينهم صوت واحد بالاحتجاج عليه ، وما هى إلا واقعة واحدة حتى انقلبت الآية فلم تعد ميديا سيدة فارس بل أصبحت فارس سيدة ميديا وأخذت تعد العدة لتكون سيدة عالم الشرق الأدنى كله .

الفصل الثانى

عظماء الملوك

قورش صاحب الشخصية الروائية — خططه السياسة المستنيرة —
قمبيز — دارا الأكبر — غزو بلاد اليونان

وكان قورش من الحكام الذين خُلِقوا ليكونوا حكاماً والذين يقول فيهم إمرسن إن الناس كلهم يبتهجون حين يتوّجون . فلقد كان ملكا بحق فى روحه وأعماله ، قديراً فى الأعمال الإدارية والفتوح الخاطفة المسرحية ، كريماً فى معاملة المغلوبين ، محبوباً من أعدائه السابقين — فلا عجب والحالة هذه أن يتخذ منه اليونان موضوعاً لعدة روايات ، وأن يصفوه بأنه أكبر أبطال العالم قبل الإسكندر .

ومما يؤسفنا أننا لا نستطيع أن نرسم له صورة موثوقاً بصحتها مما نقرره عنه فى هيرودوت أو أكسنوفون . ذلك بأن أول الرجلين قد خلط تاريخه بكثير من القصص الخرافية(١٠) ، وأن الثانى قد جعل القيروبيديا (سيرته) مقاله عن فنون الحرب تتخللها فى بعض المواضع محاضرات فى التربية والفلسفة ؛ ونرى أكسنوفون أحياناً يخلط بين قورش وسقراط . فإذا ما أخرجنا هذه الأقاصيص لم يبق لنا من شخصية قورش إلا أنه طيف خيال ممتع جذاب . وكل ما نستطيع أن نقوله عنه واثقين أنه كان وسيما بهى الطلعة — لأن الفرس اتخذوه نموذجاً لجمال الجسم حتى آخر أيام فنهم القديم(١١) ؛ وأنه أسس الأسرة الأكمينية أسرة « الملوك العظام » التى حكمت بلاد الفرس فى أزهى أيامها وأعظمها شهرة ، وأنه نظم قوات ميديا وفارس الحربية فجعل منها جيشاً قويا لا يقهر ، وأنه استولى على سرديس وبابل ، وقضى على حكم الساميين فى غربى آسية فلم تقم بعدئذ قائمة ، مدى

ألف عام كاملة ، وضم إلى الدولة الفارسية كل البلاد التى كانت من قبل تحت سلطان أشور ، وبابل ، وليديا ، وآسية الصغرى ، حتى أصبحت تلك الإمبراطورية أوسع المنظمات السياسية فى العالم القديم قبل الدولة الرومانية ، ومن أحسنها حكما فى جميع عصور التاريخ .

ويبدو — على ما نستطيع أن نصوره فيما يحيط به من سُدُم الأساطير والأوهام — أنه كان أحب الفاتحين إلى النفوس ، وأنه أقام دولته على قواعد من النبل وكريم السجايا ؛ وأن أعداءه كانوا يعرفون عنه لين الجانب فلم يحاربوه بتلك القوة المستيئسة التى يحارب بها الرجال حين لا يجدون بدآ من أن يقتلوا أو يُقتَلوا . ولقد مر بنا من قبل — على ما يرويه هيرودوت — كيف أنجى كروسس من الحطب المحرق الذى وضع عليه فى سرديس ، وكيف أكرمه وجعله من أعظم مستشاريه ، ومر بنا كذلك كرمه وحسن معاملته اليهود . وكانت أولى القواعد السياسية التى تقوم عليها دولته أن يترك الشعوب المختلفة التى تتألف منها حرية العبادة والعقيدة الدينية ، لأنه كان عليما كل العلم بالمبدإ الأول الذى يبنى عليه حكم الشعوب ، وهو أن الدين أقوى من الدولة ؛ ومن أجل ذلك لا نراه ينهب المدن ويخرب المعابد ، بل نراه يبدى كثيرآ من الإكبار والمجاملة لآلهة الشعوب المغلوبة ، ويسهم بماله فى المحافظة على أضرحتها ؛ بل إن البابليين أنفسهم ، وهم الذين قاوموه طويلا ، قد التفوا حوله وتحمسوا له حين رأوه يحافظ على هياكلهم ويعظم آلهتهم ، وكان أينما سار فى فتوحه التى لم يسبقه إليها فاتح من قبله قرب القرابين إلى الآلهة المحلية فى تقى وورع . وكان كناپليون يعترف بالأديان كلها على السواء ، ويفوقه فيما يظهره من بشاشة وكياسة وهو يكرم جميع الآلهة .

وهو يشبه ناپليون من ناحية أخرى ، وهى أنه مات ضحية الإسراف فى المطامع . ذلك أنه لما فرغ من فتح الشرق الأدنى بأجمعه وضمه إلى ملكه ،

أراد أن يحرر ميديا وفارس من غزو البدو الهمج الضاربين فى أواسط آسية ، ويلوح أنه أوغل فى حملاته حتى وصل إلى ضفاف نهر جيحون شمالا وإلى الهند شرقاً ، فلما وصل إلى ذروة مجده قتل فجأة وهو يحارب المسجيتة إحدى القبائل المجهولة التى كانت نازلة على السواحل الجنوبية لبحر الخزر ، فكان كالإسكندر افتتح إمبراطورية متسعة الرقعة ولكن المنية عاجلته قبل أن ينظمها ، لكن أخلاق قورش قد شابتها شائبة كبيرة ، تلك هى قسوته المفرطة فى بعض الأحيان .

وجاء بعده ابنه قمبيز وكان به شبه جنة فورث عن أبيه قوته وإن لم يرث عنه شيئاً من كرمه . وبدأ قمبيز حكمه بأن قتل أخاه سمرديس منافسه فى الملك ، ثم أغوته ثروة مصر الطائلة فزحف عليها ليمد حدود الإمبراطورية الفارسية إلى نهر النيل . وأفلح فيما كان يبتغيه ، ولكنه على ما يظهر أضاع فى سبيل ذلك رشده . ولم يكلفه الاستيلاء على منف كبير مشقة ، ولكن الجيش الذى أرسله للاستيلاء على واحة أمون هلك فى الصحراء ، كما أخفقت حملة سيرها إلى قرطاجنة لأن بحارة الأسطول الفارسى الفينيقيين أبوا أن يهاجموا مستعمرة فينيقية ، وجن جنون قمبيز ، فذهبت عنه حكمة أبيه ، وما كان يتصف به من رحمة وتسامح ، فأخذ يسخر من دين المصريين ، وطعن بخنجره العجل أبيس معبودهم وموضع إجلالهم وتقديسهم وهو يستهزئ به ، ولم يكفه هذا ، بل أخرج الجثث المحنطة من مدافنها ونبش قبور الملوك ولم يبال فى ذلك بما كان عليها من لعنات قديمة ، ودنس الهياكل وأمر بإحراق ما فيها من الأصنام ، ظناً منه أن عمله هذا سوف يشفى المصريين من خرافاتهم وأوهامهم ، فلما انتابه المرض — ويلوح أن مرضه كان نوبات صرع تشنجية — لم يبق لدى المصريين شك فى أن مرضه إنما هو عقاب حل به من قبل آلهتهم ، وأن دينهم لم يبق فيه بعدئذ ريبة لمرتاب . وكأن قمبيز أراد أن يبرهن مرة أخرى على مساوئ الملكية المطلقة ، ففعل ما فعله

نابليون فى بعض ساعات امتعاضه ، إذ أعدم ركسانا أخته وزوجته ، وقتل ابنه بركسسبيس بسهم من قوسه ، ودفن اثنى عشر من أعيان الفرس أحياء ، وقضى بإعدام كروسس ، ثم ندم على ما فعل ، وسر حين علم أن حكمه لم ينفذ ، ثم عاقب الموظفين الذين تأخروا عن تنفيذه(١٢) . وعلم وهو عائد إلى بلاده أن مغتصباً قد استولى على عرش فارس ، وأن ثورة صماء اندلع لهيبها طول البلاد وعرضها لتأييده . ومن هذه اللحظة يختفى قمبيز من التاريخ ، وفى بعض الروايات أنه انتحر(١٣) .

وكان المغتصب قد ادعى أنه سمردیس وأنه نجا بإحدى المعجزات من حسد أخيه قمبيز واعتزامه قتله . أما الحقيقة فإنه كان أحد رجال الدين المتعصبين من أتباع المذهب المجوسى القديم ، وكان يعمل جاهداً للقضاء على الزردشتية دين الدولة الفارسية الرسمى ثم شبت فى البلاد ثورة أخرى أطاحت بعرشه . وكان الذين نظموها سبعة من أشراف البلاد اختاروا بعدئذ واحداً منهم هو دارا ابن هشتسبس ورفعوه على العرش . وبهذه الوسيلة الدموية بدأ أعظم ملوك الفرس حكمه .

وكانت وراثة العرش فى الممالك الشرقية تقترن بالفتن فى القصور الملكية تقوم بين المتنازعين على أزمة الحكم ، كما تقترن بالثورات فى المستعمرات الخاضعة لحكمها ، فقد كانت هذه المستعمرات تنتهز فرصة ماينشأ عن الفتن الداخلية من فوضى واضطراب ، أو عن تولى الملك حاكم غير مجرب فتعمل لاسترداد حريتها . وكان اغتصاب الملك فى هذه المرة واغتيال « سمردس » فرصة ثمينة انتهزتها الولايات الخاضعة لفارس ، فخرج عليها حكام مصر وليديا ، وثارت عليها فى وقت واحد سوزانه ، وبابل ، وميديا ، وأشور ، وأرمينية ، وساكيا ، وغيرها من الولايات . ولكن دارا أخضعها جميعاً واستخدم فى إخضاعها منتهى القسوة . من ذلك أنه لما استولى على مدينة بابل بعد حصار طويل أمر بصلب ثلاثة آلاف من أعيانها ليرهب بذلك بقية الأهلين ويرغمهم على طاعته ، ثم أتبع

ذلك بسلسلة من الوقائع الحربية السريعة « هدأ » بها الولايات الثائرة واحدة بعد واحدة .

ولما رأى أن هذه الإمبراطورية الواسعة قد تتقطع أوصالها إذا حلت بها أزمة من الأزمات ، خلع دروع الحرب ، وأصبح من أعظم الحكام الإداريين وأعلاهم كعباً فى التاريخ كله ، وأخذ يعيد تنظيم ملكه على نسق أصبح مثالا يحتذى فى جميع الإمبراطوريات القديمة إلى سقوط الدولة الرومانية . وبفضل هذا النظام نعمت بلاد غربى آسية بفترة من الطمأنينة والرخاء لم ينعم هذا الصقع المضطرب بمثلها من قبل .

وكان يرجو بعدئذ أن يحكم بلاده فى ظل السلام ، ولكن سنة الأقدار قد جرت على ألا تنقطع الحروب فى الإمبراطوريات ، ذلك بأن الشعوب المقهورة يجب أن يعاد قهرها من آن إلى آن ، وأن الغالبين يجب أن يحافظوا فى شعوبهم على فنون الحرب وعادات المعسكرات وميادين القتال ، وأن الأقدار التى لا تترك شيئاً على حاله قد تتمخض عن إمبراطورية جديدة تتحدى لإمبراطورية القديمة ؛ وتلك ظروف تحتم خلق الحروب إن لم تشتعل نارها من تلقاء نفسها ؛ ولا بد إذن من أن يعوّد كل جيل على احتمال مشاق القتال ، وأن يعلم بالمران كيف يستسيغ الموت فى سبيل الأوطان .

ولعل هذا كان من الأسباب التى حدت بدارا إلى أن يزحف بجيوشه إلى جنوبى الروسيا مجتازاً مضيق البسفور ونهر الدانوب إلى القاجا ليؤدب السكوذيين الذين كانوا لا ينفكون يغيرون على أطراف الإمبراطورية الفارسية ، وأن يقودها مرة أخرى مخترقاً أفغانستان ، ويجتاز العشرات من سلاسل الجبال حتى يصل إلى وادى نهر السند ، وأن يضم بذلك إلى مملكته أقاليم واسعة الرقعة وآلاف الآلاف من الأنفس والكثير من الأموال . أما حملته على بلاد اليونان فيجب أن نبحث لها عن سبب أقوى من هذا . ويريد هيرودوت أن يحملنا على الاعتقاد بأنه خطا هذه الخطوة

التاريخية الموفقة لأن أتوسا إحدى زوجاته كايدته بها فى فراشه(١٤) . لكن أكرم من هذا أن نعتقد أن الملك أدرك ما قد تتمخض عنه دويلات المدن اليونانية ومستعمراتها من إمبراطورية أو من حلف يهدد سيادة الفرس على غربى آسية . فلما ثارت أيونا وتلقت العون من إسبارطة وأثينة رضى دارا أن يخوض غمار الحرب وهو كاره لها . والعالم كله يعرف قصة اجتيازه بحر إيجه ، وهزيمة جيشه فى سهل مراثون ، وعودته كسير القلب إلى فارس ، وهناك أخذ يستعد استعداداً عظيما ليحاول ضرب اليونان ضربة أخرى ، ولكنه أصيب فى هذه الأثناء بمرض مفاجئ أضعفه وقضى على حياته .

الفصل الثالث

الحياة الفارسية والصناعات

الإمبراطورية — الشعب — اللغة — الزراع — الطرق الإمبراطورية — التجارة والشئون المالية

كانت الدولة الفارسية حين بلغت أعظم اتساعها فى أيام دارا تشمل عشرين و ية أو « إمارة » (ستربية) تضم مصر ، وفلسطين ، وسوريا ، وفينيقية ، وليديا ، وفريجية ، وأيونيا ، وقبادوش ، وقليقية ، وأرمينية ، وأشور ، وقفقاسية ، وبابل ، وميديا ، وفارس ، والبلاد المعروفة فى هذه الأيام باسم أفغانستان ، وبلوخستان ، والقسم الممتد من الهند غرب نهر السند . وسيمدياثا ، وبكتريا (بلخ) ، وأقاليم المسجيتة وغيرهم من قبائل آسية الوسطى . ولم يسجل التاريخ قبل هذه الإمبراطورية أن حكومة واحدة حكمت مثل هذه الرقعة الواسعة من البلاد .

ولم تكن بلاد الفرس فى تلك الأيام ، وهى البلاد التى قدر لها أن تحكم هذه الأربعين مليوناً من الأنفس مدى مائتى عام ، هى بعينها البلاد المعروفة لنا الآن باسم بلاد فارس ، والتى يسميها أهلها بلاد إيران ، بل كانت هى الإقليم الأصغر المصاقب للخليج الفارسى مباشرة من جهة الشرق ؛ والمعروفة لدى الفرس الأقدمين باسم پارش والفرس المحدثين باسم فارس أو فارستان(١٥) . وهذا الإقليم يكاد يكوّن كله صحراوات وجبالا ، أنهاره قليلة ؛ معرض للبرد القارس والحر الجاف اللافح(*) ، ولذلك فإنه لم يكن فيه من الخيرات ما يكفى سكانه البالغ عددهم مليونين من الأنفس(١٧) . إلا إذا استعانوا بما قد يأتيهم من خارج بلادهم عن طريق

(*) يقول استرابون إن حرارة الصيف فى السوس تبلغ من الشدة درجة لا تستطيع معها الأفاعى والسحالى أن تعبر شوارع المدينة بالسرعة التى تكفى لنجاتها من الاحتراق ارة الشمس(١٦) .

التجارة والفتح. وأهل البلاد الجبليون الأشداء ينتمون كما ينتمى الميديون إلى الجنس الهندوربى ، ولعلهم جاءوا إلى تلك البلاد من جنوبى الروسيا ؛ وتكشف لغتهم وديانتهم المبكرة عن صلة نسب وثيقة بينهم وبين الآريين الذين عبروا أفغانستان ، وأصبحوا الطبقة الحاكمة فى شمالى الهند . ولقد وصف دارا الأول نفسه فى نقش — رستم بأنه ، فارسى ابن فارسى ، آرى من سلالة آرية » . ويسمى الزردشتيون وطنهم الأول : إيريانا ڤيجو أى « موطن الآريين(**) ، ويطلق استرابون لفظ أريانا على البلاد التى يطلق عليها الآن هذا اللفظ الذى لا يكاد يختلف عن اللفظ الأول وهو إيران(١٨) .

ويلوح أن الفرس كانوا أجمل شعوب الشرق الأدنى فى الزمن القديم . فالآثار الباقية من عهدهم تصورهم شعباً معتدل القامات ، قوى الأجسام ، قد وهبتهم حياة الجبال شدة وصلابة ، ولكن ثروتهم الطائلة رققت طباعهم ، وهم ذوو ملامح متناسبة متناسقة ، شم الأنوف لا يكادون يفترقون فى ذلك عن اليونان ، تبدو على وجوههم سمات النيل والروعة ، ولبس معظمهم الملابس الميدية ثم تحلوا فيما بعد بالحلى الميدية . وكانوا يعدون من سوء الأدب كشف أى جزء من أجزاء الجسم خلا الوجه ، ولذلك كان كل جسمهم مغطى من عمامة الرأس أو عصابته أو قلنسوته إلى خُفَّى القدمين أو حذاءيهما فكان لباسهم سروالا مثلث الطيات ، وقميصاً أبيض من التيل ، ومئزراً من طبقتين ، ذا كمَّيْن يغطيان اليدين ، ومنطقة فى وسط الجسم . وكانت هذه الملابس تحفظ أجسامهم ، دفئة فى الشتاء ، حارة فى الصيف . أما الملك فكان يمتاز بلبس سروال مطرز قرمزى ، وحذاءين ذوى أزرار زعفرانية اللون . ولم تكن ملابس النساء تختلف عن ملابس الرجال إلا بفتحة عند الصدر ، وكان الرجال يطيلون لحاهم ويتركون شعر رأسهم فينساب فى غدائر ، ثم استبدلوا بها فيما بعد شعراً مستعاراً(١٩) . ولما زادت الثروة

(*) والاعتقاد السائد أن هذا الإقليم هو بعينه إقليم آران الواقع على نهر الأراك .

فى عهد الإمبراطورية أكثر الأهلون رجالهم ونساؤهم من استعمال أدوات التجميل ، فاستعملوا الأدهان لتجميل الوجه ، والأصباغ الملوّنة لدهن الجفون ، لكى يريدوا بذلك من سعة العينين وبريقهما فى الظاهر . ومن ثم نشأت عندهم طبقة خاصة من « المزينين » سماهم اليونان « الكزمتاى » كانوا خبراء فى فن التجميل ، وعملهم تجميل الأثرياء . وكان الفرس خبراء فى عمل للروائح العطرية ، وكان القدماء يعتقدون أنهم هم الذين اخترعوا أدهان التجميل . ولم يكن مليكهم يخرج إلى الحرب إلا ومعه علبة ثمينة من الزيوت العطرية ، يتعطر بها فى حالتى النصر والهزيمة(٢٠) .

وتكلم الفرس عدة لغات فى أثناء تاريخهم الطويل . فكانت الفارسية القديمة لغة البلاط وأعيان البلاد فى عهد دارا الأول ، وهذه اللغة وثيقة الارتباط باللغة السنسكريتية حتى ليبدو لنا جلياً أن اللغتين كانتا فى وقت من الأوقات لهجتين من لغة أقدم منهما عهداً ، وأنهما هما واللغة الإنجليزية فروع من أصل واحد(*) . وتطورت اللغة الفارسية القديمة وتفرعت إلى فرعين هما الزندية — لغة الزند — أبستاق ، والبهلوية وهى لغة هندية اشتقت منها اللغة الفارسية الحالية(٢٢) . ولما مارس الفرس الكتابة استخدموا فى نقوشهم الخط المسمارى واستخدموا الحروف الهجائية الآرامية لكتابة وثائقهم(٢٣) . وبسطوا مقاطع اللغة البابلية الثقيلة الصعبة ، فأنقصوها من ثلاثمائة رمز إلى ست وثلاثين

(*) وها هى ذى بعض أمثلة تثبت هذه الصلة :

الفارسية القديمة	السنسكريتية	اليونانية	اللاتينية	الألمانية	الإنجليزية
Pitar	Piter	Pater	Pater	Vater	Pather
Nama	Nama	Anoma	Nomen	Nahme	Name
Napat	Nap	Anepsios	Nopes	Netfe	Nephew
Bar	Bhr	Perein	Ferre	Führen	Bea.
Matar	Matar	Meter	Mater	Mutter	Mothe
Bratar	Bhratar	Phrater	Frater	Bruder	Brother
Çta	Stha	Istemi	Sto	Steben	Stand(٢١)

علامة ، تبدلت شيئاً فشيئاً من مقاطع إلى حروف حتى صارت حروفاً هجائية مسمارية(٢٤) . على أن الكتابة كانت تبدو للفرس لهوا خليقاً بالنساء لا يكادون يقتطعون له وقتاً من بين مشاغلهم الكثيرة فى الحب والحرب والصيد ، ولم ينزلوا من عليائهم فينشئوا أدباً .

وكان الرجل العادى أميّاً راضياً عن أميّته ، يبذل جهده كله فى فلاحة الأرض . ومجدت الزند — أبستاق الأعمال الزراعية وعدتها أهم أعمال الجنس البشرى وأشرفها ، يبتهج لها أهورا — مزدا الإله الأعلى أكثر مما يبتهج بغيرها من الأعمال . وكانت بعض الأراضى يزرعها ملاكها المزارعون . وكان هؤلاء الملاك فى بعض الأحيان يؤلفون جماعات زراعية تعاونية مكونة من عدة أسر لتزرع مجتمعة مساحات واسعة من الأراضى(٢٥) والبعض يمتلكه الأشراف الإقطاعيون ويزرعه مستأجروه نظير جزء من غلته ؛ وبعضها الآخر يزرعه الأرقاء الأجانب (ولم يكونوا قط فرساً) . وكانوا يستخدمون محاريث من الخشب ذات أطراف من الحديد تجرها الثيران ؛ وكانوا يجرون الماء من الجبال إلى الحقول بطرق الرى الصناعية . وكان الشعير والقمح أهم محاصيل الأرض وأهم مواد الغذاء ، ولكنهم كانوا يأكلون كثيراً من اللحم ويتجرعون كثيراً من الخمر . وقد أخذ زورش بتقديم الخمر لجيوشه(٢٦) . ولم تكن مناقشة جدية فى الشئون السياسية تدور فى مجالس الفرس إلا وهم سكارى(*) — وإن كانوا يحرصون على أن يعيدوا النظر فى قراراتهم فى صباح اليوم التالى . وكان من مشروباتهم مشروب مسكر يسمى الهوما يقدمونه قرباناً محبباً لآلهتهم ؛ وكانوا يعتقدون أنه لا يبعث فى مدمنه الهياج والغضب ، بل يبعث فيه التقى والاستقامة(٢٨) .

(*) وفى ذلك يقول استرابون : « وهم يمضون فى أهم مناقشاتهم وهم يحتسون الخمر ، ويرون أن ما يصدرونه من قرارات وهم على هذه الحال أتقى مما يصدرونه منها وهم غير سكارى »(٢٧) .

ولم يكن للصناعة شأن فى فارس ؛ فقد رضيت أن تترك لأمم الشرق الأدنى ممارسة الحرف والصناعات اليدوية ، واكتفت بأن تحمل هذه الأمم إليها منتجاتها مع ما يأتيها من الخراج . أما فى شئون النقل والاتصال فكانت أكثر ابتكاراً منها فى شئون الصناعة . فقد أنشأ المهندسون إطاعة لأمر دارا الأول طرقاً عظيمة تربط حواضر الدولة بعضها ببعض . وكان طول إحدى هذه الطرق وهى الممتدة من السوس إلى سرديس ألفاً وخمسمائة ميل . وكان طولها يقدر تقديراً دقيقاً بالفراسخ (وكان الفرسخ ٣ر٤ ميل) ويقول هيرودوت : « إنه كان عند نهاية كل أربعة فراسخ محاط ملكية ونُزل فخمة ، وكان الطريق كله يخترق أقاليم آمنة عامرة بالسكان[٢٩] » . وكان فى كل محطة خيول بديلة متأهبة لمواصلة السير بالبريد ، ولهذا فإن البريد الملكى كان يجتاز المسافة من السوس إلى سرديس بالسرعة التى يجتازها بها الآن رتل من السيارات الحديثة ، أى فى أقل قليلا من أسبوع ، مع أن المسافر العادى فى تلك الأيام الغابرة ، كان يجتاز تلك المسافة فى تسعين يوماً . وكانوا يعبرون الأنهار الكبيرة فى قوارب ، ولكن المهندسين كانوا يستطيعون متى شاءوا أن يقيموا على الفرات أو على الدردنيل نفسه قناطر متينة تمر عليها مئات الفيلة الوجلة وهى آمنة . وكان ثمة طرق تصل فارس بالهند مجتازة ممرات جبال أفغانستان ، وقد جعلت هذه الطرق مدينة السوس مستودعاً وسطاً لثروة الشرق التى كانت حتى فى ذلك العهد البعيد ثروة عظيمة لا يكاد يصدقها العقل . وقد أنشئت هـــذه الطرق فى الأصل لأغراض حربية وحكومية ، وذلك لتيسير سيطرة الحكومة المركزية وأعمالها الإدارية ، ولكنها أفادت أيضاً فى تنشيط التجارة وانتقال العادات والأفكار ، كما أفادت فى تبادل خرافات الجنس البشرى وهى من مستلزماته التى لا غنى له عنها ، من ذلك أن الملائكة والشياطين قد انتقلت على هذه الطرق من الأساطير الفارسية إلى الأساطير اليهودية والمسيحية .

ولم تبلغ الملاحة فى فارس ما بلغه النقل البرى من رقى عظيم . فلم يكن للفرس أسطول خاص بهم ، بل كانوا يكتفون باستئجار سفن الفينيقيين أو الاستيلاء عليها لاستخدامها فى الأغراض الحربية ، وقد احتفر دارا الأول قناة عظيمة تصل فارس بالبحر المتوسط عن طريق البحر الأحمر والنيل ، ولكن إهمال خلفائه ترك هذا العمل العظيم تعبث به الرمال السافية .

وأصدر خشيارشاى أمره الملكى إلى قسم من قواته البحرية بأن يطوف حول أفريقية ، ولكنه لم يكد يجتاز أعمدة هرقول (مضيق جبل طارق الحالى) حتى عاد من رحلته يجلله الخزى والعار(٣٠) . وكانت الأعمال التجارية تترك فى الغالب لغير أبناء البلاد — للبابليين والفينيقيين واليهود ؛ ذلك أن الفرس كانوا يحتقرون التجارة ويرون أن الأسواق بؤرة للكذب والخداع . وكانت الطبقات الموسرة تفخر باستطاعتها الحصول على معظم حاجاتها من حقولها وحوانيتها بغير واسطة ، دون أن تدنس أصابعها بأعمال البيع والشراء(٣١) . وكانت الأجور والقروض وفوائد الأموال تؤدى فى بادئ الأمر سلعاً ، وأكثر ما كانت تؤدى به الماشية والحبوب ، ثم جاءتهم النقود من ليديا ، وسك دارا « الداريق » من الذهب والفضة وطبع عليه صورته(*) ، وكانت نسبة قيمة الدريق الذهبى إلى الدريق الفضى كنسبة ١٣٫٥ إلى ١ . وكان هذا بداية وضع نسبة بين النقدين فى الوقت الحاضر(٣٣) .

(*) ليس لهذا اللفظ صله ما باسم دارا ، بل إن لفظ دريق مشتق من كلمة زريق الفارسية وهى القطعة من الذهب . وكانت قيمة الدريق الذهبى الاسمية ٥ ريالات أمريكية . وكانت ثلاثة آلاف دريق ذهبى تعدل منا فارسيا(٣٢) .

الفصل الرابع

تجربة فى نظام الحكم

الملك — الأشراف — الجيش — القانون — عقاب وحشى —
الحواضر — الولايات ، عمل جليل فى الإدارة

كانت حياة فارس حياة سياسية وحربية أكثر منها اقتصادية ؛ عماد ثروتها القوة لا الصناعة ؛ ومن أجل هذا كانت مزعزعة الكيان أشبه ما تكون بجزيرة حاكمة وسط بحر واسع خاضع لسلطانها خضوعاً غير قائم على أساس طبيعى . وكان النظام الإمبراطورى يمسك هذا الكيان المصطنع من أقدر الأنظمة ولا يكاد يوجد له شبيه ؛ فقد كان على رأسه الملك أوخشترا أى المحارب(*) ، وهو لقب يدل على منشأ الملكية العسكرى، وصبغتها العسكرية . وإذ كان تحت سلطانه ملوك يأتمرون بأمره فقد كان الفرس يلقبونه « ملك الملوك » ولم يعترض العالم القديم على هذه الدعوة ، غير أن اليونان لم يكونوا يسمونه بأكثر من باسليوس أى الملك(٣٤) .

وكان له من الوجهة النظرية سلطة مطلقة ؛ فكانت كلمة تصدر من فمه تكفى لإعدام من يشاء من غير محاكمة ولا بيان للأسباب ، على الطريقة التى يتبعها أحد الحكام الطغاة فى هذه الأيام . وكان فى بعض الأحيان يمنح أمه أو كبيرة زوجاته حق القتل القائم على النزعات والأهواء(٣٥) . وقلما كان أحد من الأهلين ، ومن بينهم كبار الأعيان ، يجرؤ على انتقاد الملك أو لومه ، كما كان

(*) ولا يزال هذا اللفظ باقياً حتى الآن فى اسم ملك الفرس (الشاه) وكذلك لا يزال أصله باقيا فى لفظ ستراب ، الذى يسمى به حكام الأقاليم فى فارس وفى لفظ كشاتريا أو الطبقة الحاكمة فى الهند .

الرأى العام ضعيفاً عاجزاً عجزاً مصدره الحيطة والحذر ، فكان كل ما يفعله الذى يرى الملك يقتل ابنه البرىء أمام عينيه رمياً بالسهام أن يثنى على مهارة الملك العظيمة فى الرماية ؛ وكان المذنبون الذين تلهب السياط أجسادهم بأمر الملك يشكرون له تفضله بأنه لم يغفل عن ذكرهم(٣٦) . ولو أن ملوك الفرس كان لهم من النشاط ما لقورش ودارا الأول لكان لهم أن يملكوا ويحكموا ؛ ولكن الملوك المتأخرين كانوا يعهدون بأكثر شئون الحكم إلى الأشراف الخاضعين لسلطانهم ، أو إلى خصيان قصورهم أما هم فكانوا يقضون أوقاتهم فى الحب أو لعب النرد أو الصيد(٣٧) . وكان القصر يموج بالخصيان يسرحون فيه ويمرحون ، يحرسون النساء ويعلمون الأمراء ، وقد استخدموا ما تخولهم هذه الأعمال من ميزة وسلطان فى حبك الدسائس وتدبير المؤامرات فى عهد كل ملك من الملوك (*). وكان من حق الملك أن يختار خلفه من بين أبنائه ، ولكن وراثة العرش كانت تقرر فى العادة بالاغتيال والثورة .

غير أن سلطة الملك كانت تقيدها من الوجهة العملية قوة الأعيان ، وكانوا هم الواسطة بين الشعب والعرش . وقد جرت العادة أن يكون لأسر الرجال الستة الذين تعرضوا مع دارا الأول لأخطار الثورة التى قامت على سمرديس الزائف ميزات استثنائية . وأن يستشاروا فى مهام الدولة الحيوية ، وكان كثير من الأشراف يحضرون إلى القصر ويؤلفون مجلساً يولى الملك مشورته فى أكثر الأحيان أعظم رعاية . وكان يربط معظم أفراد الطبقة الموسرة بالعرش أن الملك هو الذى يهبهم ضياعهم ؛ وكانوا فى مقابل هذا يمدونه بالرجال والعتاد إذا نفر إلى القتال . وكان لهؤلاء الأشراف فى إقطاعاتهم سلطان لا يكاد يحده شىء — فكانوا يجبون الضرائب ، ويسنون القوانين ، وينفذون أحكام القضاء ويحتفظون بقواهم المسلحة .

(*) كان خمسمائة من الغلمان الخصيان يرسلون من بابل فى كل عام ليكونوا « حفظة على النساء » فى القصور الإيرانية .

وكان الجيش العماد الحقيقى لسلطان الملك والحكومة الإمبراطورية ، ذلك أن الإمبراطوريات إنما تدوم ما دامت محتفظة بقدرتها على التقتيل .

وكان يفرض على كل رجل صحيح الجسم بين الخامسة عشرة والخمسين من عمره أن ينضم إلى القوات العسكرية كلما أعلنت الحرب(٤١) . وحدث مرة أن طلب والد ثلاثة أبناء أن يعفى واحد منهم من الخدمة العسكرية فما كان من الملك إلا أن أمر بقتلهم هم الثلاثة ؛ وأرسل والد آخر أربعة من أبنائه إلى ميدان القتال ، ثم رجا خشيارشاى أن يسمح ببقاء أخيهم الخامس ليشرف على ضيعة الأسرة فقطع جسم هذا الابن نصفين بأمر من الملك ، ووضع كل نصف على أحد جانبي الطريق الذى سيمر منه الجيش(٤٢) . وكان الجنود يسيرون إلى الحرب وسط دوى الموسيقى العسكرية وهتاف الجماهير التى تجاوزت سن التجنيد .

وكانت أهم فرق الجيش فرقة الحرس الملكى المؤلفة من ألفين من الفوارس وألفين من المشاة كلهم من الأشراف وكانت مهمتهم حراسة الملك .

وكان الجيش العامل كله بلا استثناء من الفرس والميديين ، وكان يؤخذ من هذه القوات الدائمة معظم الحاميات القائمة فى النقط العسكرية الهامة فى الإمبراطورية لترهيب من تحدثه نفسه بالخروج عليها .

أما القوات الحربية الكاملة فكانت تتألف من فرق تجند من جميع الأمم الخاضعة لسلطان الفرس ، وكانت كل فرقة تتكلم بلغتها ، وتقاتل بأسلحتها وتتبع أساليبها الحربية الخاصة ، ولم يكن عتادها وأتباعها أقل اختلافا من أصولها : فهناك القسى والسهام ، والسيوف والحراب ، والخناجر والرماح ، والمقاليع والمدى ، والتروس والخوذ ، والمجنات المتخذة من الجلد ، والزرد . وكانوا يركبون الجياد والفيلة ، ويصحبهم المنادون ، والكتبة ، والخصيان ، والعاهرات ، والسراري ، ومعهم العربات التى سلح كل جزء من عجلاتها بمناجل الصلب الكبيرة . وهذه الجحافل الجرارة التى بلغت عدتها فى حملة

خشيارشاى ١٫٨٠٠٫٠٠٠ مقاتل لم تتألف منها قط وحدة كاملة ، ومن أجل ذلك فإن أول بادرة من بوادر الهزيمة كانت تحيلها إلى جموع من الغوغاء العديمة النظام . وكانت تهزم أعداءها بقوة عددها لا غير ، وبمقدرتها على استيعاب قتلاها ، فإذا ما لاقاها جيش حسن التنظيم يتكلم أفرادها لغة واحدة ويخضعون لنظام واحد حاقت بها الهزيمة ، وهذا هو السر فيما أصابها عند مرثون وبلاتية .

ولم يكن يوجد فى هذه الدولة قانون غير إرادة الملك وقوة الجيش . ولم تكن فيها حقوق مقدسة تستطيع الوقوف أمام هاتين القوتين ، كما أن التقاليد والسوابق لم تجد نفعاً إلا إذا كانت مستمدة من أمر ملكى سابق ، ذلك أن الفرس كانوا يفخرون بأن قوانينهم لا تبديل لها ، وأن الوعد أو المرسوم الملكى لا ينقض بحال من الأحوال ، فقد كان اعتقادهم أن قرارات الملك وأحكامه إنما يوحيها إليه الإله أهورا — مزدا نفسه .

وعلى هذا الأساس كان قانون المملكة مستمداً من الإرادة الإلهية ، وكان كل خروج على هذا القانون يعد خروجاً على إرادة الإله فكان الملك صاحب السلطة القضائية العليا ، ولكنه كان فى العادة يعهد هذا العمل إلى أحد العلماء الشيوخ من أتباعه . ثم تأتى من بعده المحكمة العليا المؤلفة من سبعة قضاة ، ومن تحتها محاكم محلية منتشرة فى أنحاء المملكة . وكان الكهنة هم الذين يضعون القوانين ، وظلوا زمناً طويلا ينظرون فى المظالم ، ثم كان ينظر فيها فى العهود المتأخرة رجال بل ونساء من غير رجال الدين ونسائه . وكانت الكفالة تقبل من المتهم فى جميع القضايا إلا ما كان منها خطير الشأن ، وكانوا يتبعون فى المحاكمات إجراءات منتظمة وكانت المحاكم تأمر أحياناً بمنح المكافآت كما كانت تأمر بتوقيع العقوبات ، وكانت وهى تنظر فى الجرائم تقدر ما للمتهم من حسنات وما أداه من خدمات . ولكى يحولوا بين إطالة الإجراءات القضائية كانوا يحددون

زمناً معيناً تنتهج فيه كل قضية ، ويعرضون على الخصوم أن يختاروا لهم حكماً يحاول فض ما بينهم من نزاع بالطرق السلمية .

ولما تكاثرت السوابق القانونية وتعقدت القوانين نشأت طائفة من الناس يسمون « المتحدثين فى القانون » كانوا يعرضون على المتخاصمين أن يفسروا لهم القانون ويساعدوهم على السير فى قضاياهم(٤٣) وكان يطلب إلى المتقاضين أن يقسموا الأيمان ، وكانوا فى بعض الأحيان يلجأون إلى الحكم الإلهى(٤٤) (فيفوّضون أمر المتهم إلى الآلهة تقضى له أو عليه بوسائلها الخاصة ، بأن تنجيه من النار أو الغرق إن كان بريئاً وتقضى عليه بهما إن كان مذنباً)(*) ، وكانوا يقاومون الرشوة بجعل عرضها أو قبولها جريمة كبرى يعاقب مرتكبها بالإعدام .

وكان مما عماه قمبيز لضمان نزاهة القضاء أن أمر بأن يسلخ جلد القاضى الظالم حيّا وأن يستخدم هذا الجلد لتنجيد مقاعد القضاة ، ثم يعيّن ابن القاضى القتيل بدلا منه(٤٥) .

وكانت الجرائم الصغرى يعاقب عليها بالجلد — من خمس جلدات إلى مائتى جلدة — بسوط من سياط الخيل ، وكان عقاب من يسمم كلب راع مائتى جلدة ، ومن يقتل آخر خطأ كان عقابه تسعين جلدة(٤٦) . وكانت الدولة تحصل على بعض المال اللازم للشئون القضائية من استبدال الغرامة بالجلد باحتساب كل ست روبيات للجلدة الواحدة(٤٧) . أما الجرائم التى هى أشد من هذه فكان يعاقب عليها بالوسم بالنار أو بتشويه الأعضاء أو بتر بعض الأطراف ، أو سمل العين أو السجن أو الإعدام . وكان نص القانون يحرم على أى إنسان حتى الملك نفسه أن يحكم على إنسان بالقتل عقاباً على جريمة صغرى ، ولكنه يحل القتل عقاباً على خيانة الوطن ، أو هتك العرض ، أو اللواط ، أو القتل ، أو الاستمناء ، أو حرق الموتى ، أو دفنهم سراً ، أو الاعتداء على حرمة القصر الملكى ، أو الاتصال

(*) هذا الشرح منا وضعناه لإيضاح معنى عبارة « الحكم الإلهى » . (المترجم)

بإحدى سراريه ، أو الجلوس مصادفة على عرشه . أو الإساءة إلى أحد أفراد البيت المالك(٤٨) .

وكان المذنب فى هذه الحالات يعدم إما بإرغامه على تجرع السم ، أو خزقه أو صلبه . أو شنقه (وكان المجرم يشنق ورأسه عالقة إلى أسفل) ، أو رجمه بالحجارة أو دفن الجسم إلى ما دون الرأس ، أو تهشيم رأسه بين حجرين كبيرين ، أو خنقه فى رماد ساخن ، أو بتوقيع ذلك العقاب الذى لا يصدقه العقل والمعروف باسم عقاب « الزورقين »(*) . وقد ورث الأتراك الذين أغاروا على البلاد فيما بعد بعض هذه العقوبات الهمجية ، وأورثوها العالم من بعدهم .

واستعان الملك هذه القوانين وهذا الجيش على حكم الولايات العشرين التابعة لدولته من عواصمه الكثيرة . وكانت العاصمة الأصلية بزارجاده ، ولكنه كان ينتقل منها أحياناً إلى برسبوليس ، وكانت إكباتانا (همذان) عاصمته الصيفية. أما معظم إقامته فكانت فى مدينة السوس عاصمة عيلام القديمة التى يجتمع فيها

(*) يقول أفلوطرخس إن الجندى مثرداتس قال ساخراً وهو يحتسى الخمر أن ليس الفضل فى قتل كورش الأصغر فى واقعة كوناكسا للملك ، بل الفضل فضله هو — فأمر أرت خشتر الثانى أن يعدم مثرداتس بطريقة القاربين — على النمط الآتى : يؤخذ قاربان صنعا بحيث ينطبق أحدهما على الآخر تمام الانطباق . ثم يوضع المذنب الذى يراد تعذيبه على ظهره فى أحدهما ، ويغطى بالقارب الثانى بحيث يترك رأسه ويداه وقدماه فى خارج القاربين ، أما سائر جسمه فيكون بينهما . ثم يقدم له الطعام فإذا أبى أن يطعمه أرغموه على ذلك بوخز عينيه . وبعد تناوله يسقونه مزيجاً من اللبن والعسل يصبونه فى فمه وعلى وجهه بأكمله . ويظل وجهه فى هذه الأثناء موجهاً نحو الشمس على الدوام ، فلا يلبث أن تغطيه عن آخره أسراب الذباب الذى يحط عليه . ولما كان وهو فى القارب يفعل ما لا بد أن يفعله كل من يأكلون ويشربون ، فإن الحشرات والديدان تتكاثر فى البراز والأقذار ، وتتسرب إلى أمعائه فيتآكل جسمه . فإذا اتضح لهم أن الرجل قد مات بلا ريب ، ورفع أعلى القاربين ، ظهر جسمه وقد تآكل لحمه ، وشوهدت هذه الحشرات الكريهة تنهشه ، كأنها قد تولدت فى أحشائه .. وبهذه الطريقة قضى مثرداتس فى آخر الأمر نحبه بعد عذاب دام سبعة عشر يوماً »(٥٠) .

ملحوظة : ورد اسم **Artaxerxes, Xerxes** بصيغ مختلفة فسمى أولها خشيرشا وأخشويرش وسمى الثانى أردشير وأرت خشتر أو ارتخشتر وأرتخشيرشا . ويسميه المسعودى أرطحشست ، ويقول البيرونى إن بهمن أردشير هو أخشويرش .

تاريخ الشرق القديم برمته ويرتبط أوله بآخره . وكان من مميزات هـذه المدينة صعوبة الوصول إليها ، كما كان من عيوبها بعدها عن سائر عواصم الإمبراطورية ، أراد الإسكندر أن يستولى عليها كان لا بد له أن يختار لها طريقاً طوله ألفا ميل ؛ ولكنها كان عليها أن ترسل جيوشها ألفاً وخمسمائة ميل لتخضع الثورات التى تقوم فى ليديا أو مصر . ولما أنشئت الطرق العظيمة فى آخر الأمر كانت كل فائدتها أن مهدت السبل لليونان والرومان الذين غزوا بجيوشهم غربى آسية ، كما ساعدت غربى آسية على أن يغزو اليونان ورومة بعقائده الدينية .

وكانت الإمبراطورية مقسمة إلى ستربيات أو ولايات لتسهل بذلك إدارتها وجباية خراجها . وكان فى كل ولاية نائب « لملك الملوك » قد يكون أحياناً أميراً خاضعاً لسلطانه ، ولكنه فى العادة « ستر ب » (حاكم) يعينه الملك ويبقى فى منصبه ما دام حائزاً لرضا البلاط الملكى .

وأراد دارا أن يضمن خضوع الوالى لسلطانه فبعث إلى كل ولاية بقائد من قواد جيشه ليشرف على ما فيها من قوى مسلحة مستقلا عن الوالى ؛ ولكى يضمن خضوع هذا وذاك عين لكل ولاية أميناً من قبله مستقلا عن الوالى والقائد جميعاً ، مهمته أن يبلغ عن مسلكهما . وزيادة فى الاحتياط كان للملك إدارة للمخابرات السرية تعرف باسم « عيون الملك وآذانه » يفاجئ موظفوها الولايات ليفحصوا عن سـجلاتها وشئونها الإدارية المالية . وكان الوالى يعزل أحياناً بلا محاكمة ، وأحياناً يتخلص منه فى هدوء ، وذلك بأن يسمه خدمه بأمر الملك نفسه . وكان تحت إمرة الوالى والأمين حشد من الكتبة يصرفون من شئون الحكم ما ليس فى حاجة ماسة إلى القوة . وكان هؤلاء يستمرون فى عملهم وإن تغيرت الإدارات ، بل وإن تغير الملوك ، فالملك يموت ولكن البيرقراطية الحكومية باقية مخلدة .

ولم يكن موظفو الولايات يتناولون رواتبهم من الملك ، بل كانوا يتناولونها

من أهل الولاية التى يحكمونها . وكانت هذه الرواتب عالية تكفى لأن يكون لهؤلاء الولاة قصور وحريم ، وبساتين للصيد كان الفرس يسمونها بذلك الاسم التاريخى المأثور وهو الفردوس أى « الجنة » . وكان على كل وال فضلا عن هذا أن يبعث إلى الملك فى كل عام قدراً معلوماً من المال والبضائع ضريبة مقررة على ولايته . فكانت الهند ترسل ٤٦٨٠ تالنتا (وزنة) ، وأشور وبابل ألفاً ، ومصر سبعمائة ، وولايات آسية الصغرى الأربع ترسل مجتمعة ١٧٦٠ الخ . فكان مجموع ما ترسله الولايات كلها ٥٦٠ ر١٤ فى السنة ، قدرت قيمتها تقديراً يختلف من ٠٠٠ ر٠٠٠ ر١٦٠ ريال أمريكى إلى ٠٠٠ ر٠٠٠ ر٢١٨ ريال ؛ وفوق هذا فقد كان ينتظر من كل ولاية أن تمد الملك بحاجته من السلع والمؤن : فقد كان على مصر مثلا أن تمده فى كل عام بما يحتاجه ٠٠٠ ر١٢٠ رجل من الغلال ، وكان الميديون يمدونه بمائة ألف من الضأن ، والأرمن بثلاثين ألفاً من الأمهار ، والبابليون بخمسمائة من الغلمان الخصيان ؛ وكانت هناك مصادر أخرى تستمد منها الخزانة المركزية الأموال الطائلة ؛ وحسبنا دليلا على مقدار هذه الثروة أن الإسكندر حين استولى على عاصمة الفرس وجد فى الخزائن الملكية ٠٠٠ ر١٨٠ تالنت (وزنة) تبلغ قيمتها بحساب هذه الأيام ٠٠٠ ر٠٠٠ و٠٠٠ ر٢ ريال أمريكى ، وذلك بعد مائة وخمسين عاما من إسراف الفرس وتبديدهم ، وبعد مائة حرب وثورة باهظة النفقات ، وبعد أن حمل دارا الثالث معه فى فراره ٨٠٠٠ تالت(٥١) .

ومع هذا كله فقد كانت الإمبراطورية الفارسية على الرغم من نفقاتها الإدارية الطائلة أن تجمع تجربة فى نظام الحكم الإمبراطورى شهدتها بلاد البحر المتوسط قبل الإمبراطورية الرومانية التى قدر لها أن ترث قسطاً كبيراً من النظم السياسية والإدارية لتلك الإمبراطورية القديمة . وإذا كانت هذه الإمبراطورية قد شهدت ما كان عليه ملوكها المتأخرون من قسوة وبذخ ، وما كان فى بعض شرائعها من همجية ، وما كان ينوء به كاهل الأهلين من ضرائب فادحة ، فقد

كان يقابل هذه المساوئ ما كان يسود البلاد بفضل حكومتها من نظام وأمن أثرت في ظله الولايات على الرغم من هذه الأكلاف الباهظة ، وما كانت تستمتع به تلك الولايات من حرية لم تستمتع بها الولايات الخاضعة لأكثر الإمبراطوريات رقياً واستنارة . ذلك أن كل إقليم كان يحتفظ بلغته وشرائعه ، وعاداته ، وأخلاقه ، ودينه ، وعملته ، كما كان يحتفظ في بعض الأحيان بالأسرة الحاكمة من أهله . وكانت بعض الأمم التي تؤدي الجزية كبابل وفينيقية وفلسطين راضية كل الرضا بالوضع الذي وضعت فيه ، ظناً منها أنه لو وكل أمرها إلى قوادها وجباتها من أهلها لكانوا أكثر من حكامها الفرس قسوة وأشد بطشاً . وقد بلغت الإمبراطورية الفارسية في عهد دارا الأول من حيث النظام السياسي مبلغاً لم يصل إليه غيرها من الإمبراطوريات إذا استثنينا الإمبراطورية الرومانية في عهد تراجان ، وهدريان ، والأنطونيين .

الفصل الخامس

زردشت

رسالة النبى — الديانة الفارسية قبل زردشت — كتاب
الفرس المقدس — أهورا مزدا — الأرواح الطيبة
والخبيثة — كفاحها للاستيلاء على العالم

تروى الأقاصيص الفارسية أن نبياً عظيما ظهر فى إيريانا — فيجو ، « موطن الآريين » القديم قبل ظهور المسيح بمئات السنين ، وكان شعبه يسميه زرشترا . ولكن اليونان الذين لم يكونوا يطيقون هجاء « البرابراة » أسموه زروسترز . وقد حملت به أمه حملا إلهياً قدسياً : ذلك أن الملاك الذى كان يرعاه تسرب إلى نبات الهوما ، وانتقل مع عصارته إلى جسم كاهن حين كان يقرب القرابين المقدسة . وفى ذلك الوقت نفسه دخل شعاع من أشعة العظمة السماوية إلى صدر فتاة راسخة النسب سامقة فى الشرف ، وتزوج الكاهن بالفتاة ، وامتزج الحبيسان الملاك والشعاع ، فنشأ زرشترا من هذا المزيج(٥٣) . فلما ولد قهقه عالياً من أول يوم ولد فيه ، ففرت من حوله الأرواح الخبيثة التى تجتمع حول كل كائن ، وهى مضطربة وجلة(٥٤) . وأحب الوليد الحكمة والصلاح فاعتزل الناس وآثر أن يعيش فى برية جبلية ، وأن يكون طعامه الجبن وثمار الأرض . وأراد الشيطان أن يغريه ولكنه أخفق . وشق صدره بطعنة سيف وملئت أحشاؤه بالرصاص المنصهر ، فلم يشك أو يتململ بل ظل مستمسكاً بإيمانه بأهورا — مزدا (رب النور) الإله الأعظم . وتجلى له أهورا — مزدا ووضع فى يديه الأبستاق أى كتاب العلم والحكمة ، وأمره أن يعظ الناس بما جاء فيه . وظل العالم كله زمناً طويلا يسخر منه ويضطهده ، حتى سمعه أخيراً أمير إيرانى

عظيم يدعى ڤشتسپا أو هستسبس ، فأعجبه ما سمع ، ووعده أن ينشر الدين الجديد بين شعبه ، وهكذا ولد الدين الزردشتى . وعمر زرثسترا نفسه طويلا ، حتى أحرقه وميض برق وصعد إلى السماء(٥٥) .

ولسنا نعرف ما فى هذه القصة من حق وما فيها من باطل . ولعل يوشع كيوشع بنى إسرائيل هو الذى كشف هذا النبى . ولكن اليونان صدقوا أن زرثسترا هذا كان شخصية تاريخية حقة وشرفوه بأن حددوا له تاريخاً يسبق تاريخهم بخمسة آلاف وخمسمائة عام(٥٦) . ويقرب پروسس البابلى هذا التاريخ إلى عام ٢٠٠٠ ق . م(٥٢) . أما من يؤمن بوجوده من المؤرخين المحدثين فيحددون تاريخه فيما بين القرن العاشر والقرن السادس قبل الميلاد(*)(٥٨) . ولما ظهر بين أسلاف الميديين والفرس ، وجد بنى وطنه يعبدون الحيوانات كما يعبدون أسلافهم(٦٠) ، ويعبدون الأرض والشمس ، وأن لهم ديناً يتفق فى كثير من عناصره وآلهته مع دين الهندوس فى العهد الثيدى .

وكان أكبر الآلهة فى الدين السابق للدين الزردشتى مثرا إله الشمس ، وأنيتا إلهة الخصب والأرض ، وهوما الثور المقدس الذى مات ثم بُعث حياً ، ووهب الجنس البشرى دمه شراباً ليسبغ عليه نعمة الخلود . وكان الإيرانيون الأولون يعبدونه بشرب عصير الهوما المسكر وهى عشب ينمو على سفوح جبالهم(٦١) وهال زردشت ما رأى من هذه الآلهة البدائية ، وهذه الطقوس الحمرية ، فثار على « المجوس » أى الكهنة الذين كانوا يصلون لتلك الآلهة ويقربون لها القرابين ، وأعلن فى شجاعة لا تقل عن شجاعة معاصريه عاموس وإشعيا أن ليس فى العالم إلا إله واحد هو فى بلاده أهورا — مزدا إله النور والسماء ، وأن غيره من الآلهة ليست إلا مظاهر له وصفات من صفاته . ولعل دارا الأول حينما اعتنق الدين الجديد رأى فيه ديناً

(*) وإذا ثبت أن ڤشتسپا الذى نشر هذا الدين كان والد دارا الأول كان آخر هذه التواريخ فى ظننا أرجحها .

ملهماً لشعبه ، ودعامة لحكومته ، فشرع مذ تولى الملك يشرح بآ شعواء على العبادات القديمة وعلى الكهنة المجوس ، وجعل الزردشتية دين الدولة .

وكان الكتاب المقدس للدين الجديد هو مجموعة الكتب التى جمع فيها أصحاب النبى ومريدوه أقواله وأدعيته . وسمى أتباعه المتأخرون هذه الكتب الأبستا (الأبستاق) ، وهى المعروفة عند العالم الغربى باسم الزند — أبستا ، بناء على خطأ وقع فيه أحد العلماء المحدثين(*) . ومما يروع القارئ غير الفارسى فى هذه الأيام أن يعرف أن المجلدات الضخمة الباقية — وإن كانت أقل كثيراً من كتاب التوراة — ليست إلا جزءاً صغيراً مما أوحاه إلى زرتشترا إلهه(**) .

(*) لقد أضاف أنكتيل — دوپرون (حوالى ١٧٧١ ب . م) زند إلى هذا اللفظ . وليست هذه إلا كاسمة كان الفرس يضعونها قبله للدلالة على أن ما يليها ليس إلا ترجمة أو تفسيراً للأبستاق . أما لفظ أبستاق نفسه فأصله غير معروف على وجه التحقيق ، والراجح أنه مشتق من فيد وهو الأصل الآرى الذى اشتق منه « فيدا » ومعناه المعرفة(٦٢) .

(**) وتروى الرواية الفارسية قصة أبستاق أخرى أكبر من هـذه فى واحد وعشرين كتاباً يسمى واحدها « النسك » وتقول إن هذه الكتب الأخيرة نفسها ليست إلا جزءا صغيراً من الكتاب المقدس الأصلى ، وإن كتاباً من هذه الكتب وهو الوندداد قد بقى سليما . أما الكتب الأخرى فلم تبق منها إلا أجزاء مبعثرة فى مولفات متأخرة كالدنكرد والبندهيش . ويروى مؤرخو العرب أن النص الكامل للكتاب الفارسى المقدس كان يشتمل على ١٢٠٠٠ جلد من جلود البقر . وتقول إحدى الروايات الدينية إن الأمير ڤشتسبا كتب من هذا الكتاب نسختين ، التهمت إحداهما النار حين أحرق الإسكندر القصر الملكى فى برسوبوليس ، أما الأخرى فقد أخذها اليونان المنتصرون معهم إلى بلادهم ، فلما ترجموها كانت هى المصدر الذى أخذوا عنه كل معلوماتهم العلمية (كما يقول الثقات من الفرس) . فلما كان القرن الثالث بعد الميلاد أمر ڤلجيسس الخامس أحد ملوك البارثيين من الأسرة الأرساسية أن يجمع كل ما بقى من أجزاء الكتاب المتفرقة المكتوبة منه والباقية فى صدور المؤمنين . فاتخذ الكتاب من ذلك الوقت صورته الباقية إلى هذا اليوم ، وكان قانون الزردشتية فى القرن الرابع الميلادى ، وأساس الدين الرسمى للدولة الفارسية . ثم عبثت الأيدى مرة أخرى بهذا الكتاب لما فتح المسلمون بلاد الفرس فى القرن السابع بعد الميلاد (٦٣) .

ويمكن تقسيم القطع الصغيرة الباقية من هذا الكتاب إلى خمسة أجزاء :

١ — اليزنا : وتتألف من خمسة وأربعين فصلا من الطقوس الدينية التى كان الكهنة الزردشتيون يترنمون بها ، ومن سبعة وعشرين فصلا (من الفصل الثامن والعشرين —

وهذا الجزء الباقى يبدو للأجنبى الضيق الفكر كأنه خليط مهوش من الأدعية والأناشيد ، والأقاصيص ، والوصفات ، والطقوس الدينية ، والقواعد الخلقية ، تجلوها فى بعض المواضع لغة ذات روعة ، وإخلاص حار ، وسمو خلقى ، أو أغان تنم عن تقى وصلاح . وهى تشبه العهد القديم من الكتاب المقدس فيما تثيره فى النفس من نشوة قوية . وفى وسع الدارس أن يجد فى بعض أجزائها ما يجده فى الرج — قدا من آلهة وآراء ، ومن كلمات وتراكيب فى بعض الأحيان . وتبلغ هذه من الكثرة حداً جعل بعض علماء الهنود يعتقدون أن الأبستاق ليست وحياً من عند أهورا — مزدا ، بل هى مأخوذة من كتب القدا . ويعثر الإنسان فى مواضع أخرى منها على فقرات من أصل بابلى قديم ، كالفقرات التى تصف خلق الدنيا على ست مراحل (السموات ، فالماء ، فالأرض ، فالنبات ، فالحيوان ، فالإنسان) ، وتسلسل الناس جميعاً من أبوين أولين ، وإنشاء جنة على ظهر الأرض(٦٦) ، وغضب الخالق على خلقه ، واعتزامه أن يسلط عليهم طوفاناً يهلكهم جميعاً إلا قلة صغيرة منهم(٦٧) . لكن ما فيها من عناصر إيرانية خالصة يشتمل على كثير من الشواهد التى تكفى لصبغ الكتاب كله بالصبغة الفارسية العامة . فالفكرة السائدة فيه هى ثنائية العالم الذى يقوم عن مسرحه صراع يدوم اثنى عشر ألف عام بين الإله أهورا — مزدا والشيطان أهرمان ؛ وأن أفضل الفضائل

— إلى الرابع والخمسين) وتسمى الجتها ، وتشتمل على أحاديث النبى وما أوحى إليه مصوغة فى عبارات موزونة كما يظهر .

٢ — الوسپرد : ويشتمل على أربعة وعشرين فصلا أخرى من الطقوس الدينية .

٣ — الوندیداد : ويشتمل على اثنين وعشرين فصلا أو فرجودا ، وهى تشرح فقه الزردشتيين وقوانينهم الأخلاقية ، وهى التى تتألف منها الآن شريعة البارسيين الكهنوتية (فى الهند) .

٤ — اليشت : أى التسبيحات الغنائية ، وهى واحد وعشرون نشيداً فى الثناء على الملائكة تتخللها أقاصيص تاريخية ونبوءة عن آخر العالم .

٥ — وآخرها الخرد أبستاق : أى الأبستاق الصغيرة وهى صلوات تتلى فى مناسبات فى الحياة مختلفة .

هما الطهر والأمانة وهما يؤديان إلى الحياة الخالدة ؛ وأن الموتى يجب ألا يدفنوا أو يحرقوا كما كان يفعل اليونان أو الهنود القذرون ، بل يجب أن تلقى أجسامهم إلى الكلاب أو الطيور الجارحة(٦٨) .

وكان إله زردشت فى بادئ الأمر هو : « دائرة السماوات كلها » نفسها ، فأهورا مزدا « يكتسى بقبة السماوات الصلبة يتخذها لباساً له ؛ ... وجسمه هو الضوء والمجد الأعلى ، وعيناه هما الشمس والقمر » . ولما أن انتقل الدين فى الأيام الأخيرة من الأنبياء إلى الساسة صور الإله الأعظم فى صورة ملك ضخم ذى جلال مهيب . وكان بوصفه خالق العالم وحاكمه يستعين بطائفة من الأرباب الصغار ، كانت تصور أزلا كأنها أشكال وقوى من أشكال الطبيعة وقواها — كالنار ، والماء ، والشمس ، والقمر ، والريح ، والمطر . ولكن أكبر فخر لزردشت أن الصورة التى تصورها لإلهه هى أنه يسمو على كل شىء ، وأنه عبر عن هذه الفكرة بعبارات لا تقل جلالا عما جاء فى سفر أيوب :

هذا ما أسألك عنه فاصدقنى الخبر يا أهورا مزدا : منذا الذى رسم مسار الشموس والنجوم ؟ — ومنذا الذى يجعل القمر يتزايد ويتضاءل ؟ . . . ومنذا الذى رفع الأرض والسماء من تحتها وأمسك السماء أن تقع ؟ — منذا الذى حفظ المياه والنباتات — ومنذا الذى سخر للرياح والسحب سرعتها — ومنذا الذى أخرج العقل الخير يا أهورا مزدا ؟(٦٩) .

وليس المقصود «بالعقل الخير» عقلا إنسانيا ما ، بل المقصود به حكمة إلهية لا تكاد تفترق فى شىء عن « كلمة الله »(*) يستخدمها أهورا مزدا واسطة لخلق الكائنات . وكان لأهورا مزدا كما وصفه زردشت سبعة مظاهر أو سبع صفات

(*) يعتقد دارمستتر أن فكرة « العقل الطيب » إن هى إلا تطبيق — شبيه بتطبيق الأوربيين — لفكرة الكلمة الإلهية عند فيلون . وهو لهذا يرجع تاريخ الينا إلى القرن الأول قبل الميلاد(٧٠) .

هى : النور ، والعقل الطيب ، والحق ، والسلطان ، والتقوى ، والخير ، والخلود . ولما كان أتباعه قد اعتادوا أن يعبدوا أرباباً متعددة فقد فسروا هذه الصفات على أنها أشخاص (سموهم أميشا اسبنتا أو القديسين الخالدين) الذين خلقوا العالم ويسيطرون عليه بإشراف أهورا مزدا وإرشاده . وبذلك حدث فى هذا الدين ما حدث فى المسيحية فانقلبت الوحدانية الرائعة التى جاء بها مؤسسه شركا لدى عامة الشعب . وكان لديهم فضلا عن هذه الأرواح المقدسة كائنات أخرى هى الملائكة الحراس . وقد اختص كل رجل وكل امرأة وكل طفل — حسب أصول اللاهوت الفارسى — بواحد منها ، وكان الفارسى التقى يعتقد (ولعله كان فى هذا الاعتقاد متأثراً بعقيدة البابليين فى الشياطين) أنه يوجد إلى جانب هؤلاء الملائكة والقديسين الخالدين الذين يعينون الناس على التحلى بالفضيلة سبعة شياطين (ديو) أو أرواح خبيثة تحوم فى الهواء ، وتغوى الناس على الدوام بارتكاب الجرائم والخطايا ، وتشتبك أبد الدهر فى حرب مع أهورا — مزدا ومع كل مظهر من مظاهـــر الحق والصلاح . وكان كبير هذه الزمرة من الشياطين أنكرا — مينيوما أو أهرمان أمير الظلمة وحاكم العالم السفلى . وهو الطراز الأسبق للشيطان الذى لا ينقطع عن فعل الشر ، والذى يلوح أن اليهود أخذوا فكرته عن الفرس ثم أخذتها عنهم المسيحية . مثال ذلك أن أهرمان هو الذى خلق الأفاعى ، والحشرات المؤذية ، والجراد ، والنمل ، والشتاء ، والظلمة ، والجريمة ، والخطيئة ، واللواط ، والحيض ، وغيرها من مصائب الحياة . وهذه الآثام التى أوجدها الشيطان هى التى خربت الجنة حيث وضع أهورا مزدا الجدين الأعلين للجنس البشرى(٧١) .

ويبدو أن زردشت كان بعد هذه الأرواح الخبيثة آلهة زائفة ، وأنها تجسيد خرافى من فعل العامة للقوى المعنوية المجردة التى تعترض رقى الإنسان ، ولكن أتباعه رأوا أنه أيسر لهم أن يتصوروها كائنات حية فجسدوها وجعلوا

لها صوراً ما زالوا يضاعفونها حتى بلغت جملة الشياطين فى الديانة الفارسية عدة ملايين(٧٢) .

ولقد كانت هذه العقائد وقت أن جاء بها زردشت قريبة كل القرب من عقيدة التوحيد ، بل إنها حتى بعد أن أقحموا فيها أهرمان والأرواح ظل فيها من التوحيد بقدرما فى المسيحية بإبليسها وشياطينها وملائكتها . والحق أن الإنسان ليسمع فى الديانة المسيحية الأولى أصداء كثيرة للاثنينية الفارسية ، لا تقل عما يسمع فيها من أصداء التزمت العبرانى ، أو الفلسفة اليونانية . ولعل الفكرة الزردشتية عن الإله كانت ترضى عقلا يهتم بدقائق الأشياء وتفاصيلها كعقل ماثيو آرنلد . ذلك أن أهورا مزدا ، كان جماع قوى العالم التى تعمل للحق ؛ والأخلاق الفاضلة لا تكون إلا بالتعاون مع هذه القوى . هذا إلى أن فى فكرة الثنائية بعض ما يبرر ما نراه فى العالم من تناقض والتواء وانحراف عن طريق الحق لم تفسره قط فكرة التوحيد . وإذا كان رجال الدين الزردشتيون يحاجون أحياناً ، كما يحاج متصوفة الهنود والفلاسفة المدرسيون ، بأن الشر لا وجود له فى حقيقة الأمر(٧٣) ، فإنهم فى الواقع يعرضون على الناس ديناً يصلح كل الصلاحية لأن يمثل لأوساط الناس ما يصادفهم فى الحياة من مشاكل خلقية تمثيلا يقربها إلى عقولهم وتنطبع فيها انطباع الرواية المسرحية ، وقد وعدوا أتباعهم بأن آخر فصل من هذه المسرحية سيكون خاتمة سعيدة — للرجل العادل . ذلك أن قوى الشر ستُغلب آخر الأمر ويكون مصيرها الفناء بعد أن يمر العالم بأربعة عهود طول كل منها ثلاثة آلاف عام يسيطر عليه فيها على التوالى أهورا مزدا وأهرمان . ويومئذ ينتصر الحق فى كل مكان ، وينعدم الشر فلا يكون له من بعد وجود . ثم ينضم الصالحون إلى أهورا مزدا فى الجنة ويسقط الخبيثون فى هوة من الظلمة فى خارجها يطعمون فيها أبد الدهر سُمًّا زعافاً(٧٤) .

الفصل السادس

الفلسفة الأخلاقية فى الديانة الزردشتية

الإنسان ميدان قتال – النار المخلدة – الجحيم والمطهر والجنة –
عبادة مثرا – المجوس – البارسيين

لما صوّر الزردشتيون العالم فى صورة ميدان يصطرع فيه الخير والشر ، أيقظوا بعملهم هذا فى خيال الشعب حافزاً قوياً مبعثه قوة خارجة عن القوى البشرية ، يحض على الأخلاق الفاضلة ويصونها . وكانوا يمثلون النفس البشرية ، كما يمثلون الكون ، فى صورة ميدان كفاح بين الأرواح الخيّرة والأرواح الشريرة ، وبذلك كان كل إنسان مقاتلا ، أراد ذلك أو لم يرده ، فى جيش الله أو فى جيش الشيطان ، وكان كل عمل يقوم به أو يغفله يرجح قضية أهورا مزدا أو قضية أهرمان . وتلك فلسفة فيها من المبادئ الأخلاقية ما يعجب به المرء أكثر مما يعجب بما فيها من مبادئ الدين – إذا سلمنا بأن الناس فى حاجة إلى قوة غير القوى الطبيعية تهديهم إلى طريق الخُلق الكريم . فهى فلسفة تضفى على الحياة الإنسانية من المعنى ومن الكرامة ما لا تضفيه عليه النظرة العالمية القائلة بأن الإنسان ليس إلا حشرة دنيئة لاحول لها ولا طول (كما كان يقول أهل العصور الوسطى) ، أو آلة تتحرك بنفسها كما يقول أهل هـــذه الأيام . ذلك أن بنى الإنسان حسب تعاليم زردشت ليسوا مجرّد بيادق تتحرك بغير إرادتها فى هذه الحرب العالمية ؛ بل إن لهم إرادة حرة ، لأن أهورا مزدا ، كان يريدهم شخصيات تتمتع بكامل حقوقها ، وفى مقدورهم أن يختاروا طريق النور أو طريق الكذب . فقد كان أهرمان هو الكذبة المخلدة ، وكان كل كذاب خادماً له .

ونشأ من هذه الفكرة قانون أخلاقى مفصل رغم بساطته ، يدور كله حول القاعدة الذهبية وهى أن « الطبيعة لا تكون خيرة إلا إذا منعت صاحبها أن يفعل بغيره ما ليس خيراً له هو نفسه(*) »(٧٥) . وتقول الأبستاق إن على الإنسان واجبات ثلاثة : « أن يجعل العدو صديقاً ، وأن يجعل الخبيث طيباً ، وأن يجعل الجاهل عالماً »(٧٦) . وأعظم الفضائل عنده هى التقوى ، ويأتى بعدها مباشرة الشرف والأمانة عملا وقولا . وحرم أخذ الربا من الفرس ، ولكنه جعل الوفاء بالدين واجباً يكاد يكون مقدساً(٧٧) . ورأس الخطايا كلها (فى الشريعة الأبستاقية كما هى فى الشريعة الموسوية) هو الكفر . ولنا أن نحكم من العقوبات الصارمة التى كانت توقع على الملحدين بأن الإلحاد كان له وجود بين الفرس ، وكان المرتدون عن الدين يعاقبون بالإعدام من غير توان(٧٨) ولكن ما أمر به السيد من إكرام ورحمة لم يكن يطبق من الوجهة العلمية على الكفار . أى على الأجانب ، لأن هؤلاء كانوا صفاً منحطاً من الناس أضلهم أهورا ـ مزدا فلم يحبوا إلا بلادهم وحدها لكيلا يغزوا بلاد الفرس . ويقول هيرودوت إن الفرس : « يرون أنهم خير الناس جميعاً من جميع الوجوه » . وهم يعتقدون أن غيرهم من الأمم تدنو من الكمال بقدرما يقرب موقعها الجغرافى من بلاد فارس ، وأن « شر الناس أبعدهم عنها »(٧٩) . إن لهذه الألفاظ نغمة حديثة وإنها لتنطبق على جميع الأمم فى هذه الأيام .

ولما كانت التقوى أعظم الفضائل على الإطلاق فإن أول ما يجب على الإنسان فى هذه الحياة أن يعبد الله بالطهر والتضحية والصلاة . ولم تلك فارس الزردشتية تسمح بإقامة الهياكل أو الأصنام ، بل كانوا ينشئون المذابح المقدسة على قمم الجبال ، وفى القصور ، أو فى قلب المدن ، وكانوا يوقدون النار فوقها تكريماً لأهورا ـ مزدا

(*) لكن جاء فى الآية السادسة من الفصل السادس والأربعين من كتاب يزنا ـ « خبيث من يسدى الخير للخبيث » إن الكتب الموحى بها قلما تتفق نصوصها .

أو لغيره من صغار الآلهة . وكانوا يتخذون النار نفسها إلهاً يعبدونه ويسمونها أنار ، ويعتقدون أنها ابن إله النور ، وكانت كل أسرة تجتمع حول موقدها ، تعمل على أن تظل نار بيتها متقدة لا تنطفئ أبداً ، لأن ذلك من الطقوس المقررة فى الدين . وكانت الشمس نار السموات الخالدة تعبد بوصفها أقصى ما يتمثل فيها أهورا — مزدا أو مثرا كما عبدها إخناتون فى مصر . وقد جاء فى كتابهم المقدس : « يجب أن تعظم شمس الصباح إلى وقت الظهيرة ، وشمس الظهيرة يجب أن تعظم إلى العصر ، وشمس العصر يجب أن تعظم حتى المساء . . . والذين لا يعظمون الشمس لا تحسب لهم أعمالهم الطيبة فى ذلك اليوم(٨٠) » ، وكانوا يقربون إلى الشمس ، وإلى النار ، وإلى أهورا — مزدا القرابين من الأزهار ، والخبز ، والفاكهة ، والعطور ، والثيران ، والضأن ، والجمال ، والخيل ، والحمير ، وذكور الوعول . وكانوا فى أقدم الأزمنة يقربون إليها الضحايا البشرية شأن غيرهم من الأمم(٨١) . ولم يكن ينال الآلهة من هذه القرابين إلا رائحتُها ، أما ما يؤكل منها فقد كان يبقى للكهنة والمتعبدين ، لأن الآلهة — على حد قول الكهنة — ليست فى حاجة الى أكثر من روح الضحية(٨٢) . وظلت العادة الآرية القديمة عادة تقديم عصير الهوما المسكر قرباناً إلى الآلهة باقية بعد انتشار الدين الزردشتى بزمن طويل ، وإن كان زردشت نفسه جهر بسخطه على هذه العادة ، وإن لم يرد لها ذكر فى الأبستاق . . وكان الكهنة يحتسون بعض هذا العصير المقدس ويوزعون ما بقى منه على المؤمنين المجتمعين للصلاة(٨٣) . فإذا حال الفقر بين الناس وبين تقديم هذه القرابين الشهية ، استعاضوا عنها بالزلفى إلى الآلهة بالأدعية والصلوات ؛ وكان أهورا مزدا كما كان يهوه يحب الثناء عليه ويتقبله ، ومن ثم فقد وضع للمتقين من عباده طائفة رائعة من صفاته أضحت من الأوراد المحببة عند الفرس(٨٤) .

فإذا ما وهب الفارسى حياة التقى والصدق كان فى وسعه أن يلقى الموت فى

غير خوف ؛ ومهما يكن من الأغراض التى يهدف إليها الدين فإن هذا المطلب كان أحد مطالبه الخفية . وكان من العقائد المقررة أن أستواد إله الموت يعثر على كل إنسان أيا كان مقره ؛ فهو الباحث الواثق ، الذى لا يستطيع الإفلات منه آدمى ولو كان من أولئك الذين يغوصون فى باطن الأرض ، كما فعل أفرسياب التركى الذى شاد له تحت أطباق الثرى قصراً من الحديد يبلغ ارتفاعه قدر قامة الإنسان ألف مرة ، وأقام فيه مائة من الأعمدة ، تدور فى سمائه النجوم والقمر ، والشمس تغمره بأشعة النهار . وكان فى هذا القصر يفعل كل ما يحلو له ويحيا أسعد حياة . ولكنه لم يستطع رغم قوته وسحره أن يفر من أستواد . . . كذلك لم يستطع النجاة منه من حفر الأرض الواسعة المستديرة التى تمتد أطرافها إلى أبعد الحدود كما فعل دهاق إذ طاف بالأرض شرقاً وغرباً يبحث عن الخلود فلم يعثر عليه . ولم ينقذه بأسه وقوته فى النجاة من أستواد . . . ذلك أن أستواد المخاتل يأتى متخفيا إلى كل إنسان ، لا يعظم شخصاً ، ولا يتقبل الثناء ولا الارتشاء ، بل يهلك الناس بلا رحمة(٨٥) .

ولما كان من طبيعة الأديان أن ترهب وتنذر ، كما تأسو وتبشر ، فإن الفارسى رغم هذا كله لم يكن ينظر إلى الموت فى غير رهبة إلا إذا كان جندياً أميناً يدافع عن قضية أهورا — مزدا . فقد كان من وراء الموت ، وهو أشد الخفايا كلها رهبة ، جحيم ، وأعراف ، وجنة . وكان لا بد لأرواح الموتى بأجمعها أن تجتاز قنطرة تصفى فيها ، تجتازها الأرواح الطيبة فتصل فى جانبها الثانى إلى « مسكن الفناء » حيث تلقاها وترحب بها « فتاة عذراء ذات قوة وبهاء ، وصدر ناهد ملىء » ؛ وهناك تعيش مع أهورا — مزدا سعيدة منعمة إلى أبد الدهر .

أما الروح الخبيثة فلا تستطيع أن تجتاز القنطرة فتتردى فى درك من الجحيم يتناسب عمقه مع ما اقترفت من ذنوب(٨٦) ، ولم يكن هذا الجحيم مجرد دار سفلى تذهب إليها كل الأرواح طيبة كانت أو خبيثة كما تصفها الأديان الأقدم عهداً

من الدين الزردشتى ، بل كانت هاوية مظلمة مرعبة تعذب فيها الأرواح المذنبة أبد الآبدين(٨٧) . فإذا كانت حسنات الإنسان ترجح على سيئاته قاسى عذاباً موقتاً يطهره من الذنوب ، وإذا كان قد ارتكب كثيراً من الخطايا ولكنه فعل بعض الخير ، لم يلبث فى العذاب إلا اثنى عشر ألف عام يرفع بعدها إلى السماء(٨٨) .

ويحدثنا الزردشتيون الصالحون بأن العالم يقترب من نهايته المحتومة ؛ ذلك بأن مولد زردشت كان بداية الحقبة العالمية التى طولها ثلاثة آلاف سنة ، وبعد أن يخرج من صلبه فى فترات مختلفة ثلاثة من النبيين ينشرون تعاليمه فى أطراف العالم ، يحلّ يوم الحساب الأخير ، وتقوم مملكة أهورا ـ مزدا ، ويهلك أهرمان هو وجميع قوى الشر هلاكاً لا قيام لها بعده . ويومئذ تبدأ الأرواح الطيبـــة جميعها حياة جديدة فى عالم خال من الشرور والظلام والآلام(٨٩) . فيُبعث الموتى ، وتعود الحياة إلى الأجسام ، وتتردد فيها الأنفاس . . . ويخلو العالم المادى كله الى أبد الدهر من الشيخوخة والموت والفساد والانحلال(٩٠) » .

وهنا أيضاً نستمع ، كما نستمع فى كتاب الموتى المصرى ، إلى التهديد بيوم الحساب الرهيب ، وهو تهديد يلوح أنه انتقل من فلسفة الحشر الفارسية إلى الفلسفة اليهودية أيام أن كانت للفرس السيادة على فلسطين ـ ألا ما أروعه من وصف خليق بأن يرهب الأطفال فيصدعوا بأوامر آبائهم !

ولما كان من أغراض الدين أن ييسر ذلك الواجب الصعب الضرورى ، واجب تذليل الصغار على يد الكبار ، فإن من حق الكهنة الزردشتيين أن نقرّ لهم بما كانوا عليه من مهارة فى وضع قواعد الدين . وإذا ما نظرنا إلى هذا الدين فى مجموعه ألفيناه ديناً رائعاً أقلّ وحشية ونزعة حربية ، وأقلّ وثنية وتخريفاً من الأديان المعاصرة له ، وكان خليقاً بألا يُقضى عليه هذا القضاء العاجل .

وأتى على هذا الدين حين من الدهر فى عهد دارا الأول كان فيه المظهر الروحى لأمة فى أوج عزها . لكن بنى الإنسان يولعون بالشعر أكثر من ولعهم

بالمنطق ، والناس يهلكون إذا نحلت عقائدهم من بعض الأساطير . ومن أجل هذا ظلت عبادة مثرا وأنيتا — إله الشمس وإلهة الإنبات والخصب والتوالد والأنوثة — ظلت هذه العبادة قائمة إلى جانب دين أهورا — مزدا الرسمى تجد لها أتباعاً مخلصين ، وعاد اسماهما إلى الظهور من جديد فى النقوش الملكية أيام أرت خشتر الثانى ، وأخذ اسم مثرا بعدئذ يعظم ويقوى ، كما أخذ أهورا — مزدا يضمحل . وما أن وافت القرون الأولى من التاريخ الميلادى حتى انتشرت عبادة مثرا الإله الشاب ذى الوجه الوسيم — الذى تعلو وجهه هالة من نور ترمز إلى الوحدة القديمة بينه وبين الشمس — فى جميع أنحاء الدولة الرومانية ، وكان انتشارها هذا من أسباب الاحتفال بعيد الميلاد عند المسيحيين(*) . ولو أن زردشت كان من المخلدين لتوارى خجلا حين يرى تماثيل أنيتا أفروديتى الفرس ، تقام فى كثير من مدن الإمبراطورية الفارسية بعد بضعة قرون من وفاته(٩١) . وما من شك فى أنه كان يسوءه أن يجد صفاً كثيرة من صحف وحيه قد خصها المجوس بطلاسم لشفاء المرضى والتنبؤ بالغيب والسحر(٩٢) . ذلك أن « الرجال العقلاء » أى كهنة المجوس قد غلبوا زردشت على أمره ، كما يغلب الكهنة فى آخر الأمر كل عات عاصياً كان أو زنديقاً ، وذلك بأن يضموه إلى دينهم أو يستوعبوه فيه ؛ فسلكوه أولا فى عداد المجوس ، ثم لم يلبثوا أن نسوا ذكره(٩٣) . وما لبث هؤلاء المجوس بزهدهم وتقشفهم ، واقتصارهم على زوجة واحدة ، ومراعاتهم لمئين من الطقوس المقدسة ، ومن تطهرهم بمئات الأساليب اتباعاً لأوامر الدين وطقوسه ، وبامتناعهم عن أكل اللحوم ، وبملبسهم البسيط الذى لا تكلف ولا تظاهر فيه ، ما لبث هؤلاء أن اشتهروا بالحكمة بين الشعوب الأجنبية ،

(*) كان عيد الميلاد فى بداية الأمر عيداً شمسياً يحتفل به وقت الانقلاب الشتائى (حوالى ٢٢ ديسمبر) ببداية طول النهار وبانتصار الشمس على أعدائها ، وأصبح فيما بعد عيداً لمثرا ، ثم صار من الأيام المقدسة عند المسيحيين .

ومنهم اليونان أنفسهم ، كما أصبح لهم على مواطنيهم سلطان لا تكاد تعرف له حدود . لقد أصبح ملوك الفرس أنفسهم من تلاميذهم ، لا يقدمون على أمر ذى بال إلا بعد استشارتهم فيه ، فقد كانت الطبقات العليا منهم حكماء ، والسفلى متنبئين وسحرة ، ينظرون فى النجوم ويفسرون الأحلام(٩٤) ؛ وهل ثمة شاهد على علو كعبهم أكبر من أن اللفظ الإنجليزى المقابل لكلمة « السحر Magic » مشتق من اسمهم . وأخذت العناصر الزردشتية فى الديانة الفارسية تتضاءل عاماً بعد عام ؛ نعم إنها انتعشت وقتاً ما أيام الأسرة الساسانية (٢٢٦ — ٦٥١ ب . م) ، ولكن الفتح الإسلامى وغزو التتار قضيا عليها القضاء الأخير . ولا يوجد أثر للديانة الزردشتية فى هذه الأيام إلا بين عشائر قليلة العدد فى ولاية فارس ، وبين البارسيين من الهنود الذين يبلغ عددهم تسعين ألفاً .

ولا تزال هذه الجماعة حفيظة على كتبها المقدسة ، تخلص لها وتدرسها ، وتعبد النار والتراب ، والأرض والماء ، وتقدسها ، وتعرض موتاها فى « أبراج الصمت » للطيور الجارحة كيلا تدنس العناصر المقدسة بدفنها فى الأرض أو حرقها فى الهواء . وهم قوم ذوو أخلاق سامية وآداب رفيعة ، وهم شاهد حى على فضل الدين الزردشتى وما له من أثر عظيم فى تهذيب بنى الإنسان وتمدينهم .

الفصل السابع

آداب الفرس وأخلاقهم

الملك والشرف — قانون النظافة — خطايا الجسد —
العذارى والأعزاب — الزواج — النساء — الأطفال —
آراء الفرس فى التربية والتعليم

إن الذى يدهشنا بحق هو ما بقى لدى الميديين والفرس من وحشية رغم دينهم هذا . انظر إلى ما كتبه دارا الأول أعظم ملوكهم فى نقش بهستون : « وقبض على فراڤارتش وجىء به إلىّ . فجدعت أنفه ، وصلمت أذنيه ، وقطعت لسانه ، وفقأت عينيه ، وأبقيته فى بلاطى مقيداً بالأغلال يراه كل الناس . ثم صلبته بعدئذ فى إكباتانا . . . وكان أهورا — مزدا أكبر معين لى ، فقد بطش جيشى برعاية أهورا — مزدا بالجيش الثائر . وقبضوا على ستر نكخارا وجاءوا به إلىّ ، فجدعت أنفه ، وصلمت أذنيه ، وفقأت عينيه . وبقى مقيداً بالأغلال فى بلاطى يراه الناس جميعاً ، ثم صلبته[٩٥] » . وإن فى حوادث الإعدام التى يقصها أفلوطرخس فى سيرة أرت خشتر لصورة مروعة لما كانت عليه أخلاق ملوك الفرس فى العهد الأخير . لقد كان الملوك يقضى عليهم بلا شفقة ولا رحمة : فكانوا يصلبون هم وزعماؤهم ، ثم يباع أتباعهم بيع الرقيق ، وتنهب مدنهم ، ويخصى غلمانهم ، وتسبى بناتهم[٩٦] ويبعن . ولكن ليس من العدالة فى شىء أن يحكم الإنسان على شعب بأسره من سيرة ملوكه . ذلك أن الفضيلة لاترويها الأخبار ، وأفاضل الناس لاتاريخ لهم ، شأنهم فى هذا شأن الأمم الهنيئة السعيدة . بل إن الملوك أنفسهم كانوا يبدون فى بعض المناسبات شيئاً من مكارم الأخلاق ، وكانوا يشتهرون بين اليونان الغادرين بوفائهم . فإذا عاهدوا أوفوا بعهدهم ، وكان من دواعى فخرهم

أنهم لا ينقضون كلمتهم(٩٧) . ومما يجب أن نذكره للفرس مقرونا بالثناء والتقدير ، أن من العسير علينا أن نجد فى تاريخهم فارسيا قد استؤجر ليحارب الفرس ، على حين أن أى إنسان كان يسعه أن يستأجر اليونان ليحاربوا اليونان(*) .

وخليق بنا أن نذكر أن أخلاقهم لم تبلغ من القسوة ذلك الحد الذى يتبادر إلى أذهاننا من قراءة تاريخهم الحافل بالدم والحديد . لقد كان الفرس يتحلون بالصراحة والكرم وحفظ الود وسخاء اليد(٩٩) ، يراعون آداب المجالس ويحرصون عليها حرصا لا يكاد يقل عن حرص الصينيين . وكانوا إذا تقابل منهم شخصان متساويان فى المرتبة تعانقا وقبل كل منهما الآخر فى شفتيه ، فإذا قابل الواحد منهم من هو أعلى منه منزلة انحنى له انحناءة كبيرة تشعر بالخضوع والاحترام ، وإذا التقى بمن هو أقل منه قدم له خده ليقبله ، فإذا قابل أحد السوقة اكتفى بإحناء رأسه(١٠٠) . وكانوا يستنكرون تناول شىء من الطعام أو الشراب على قارعة الطريق ، كما يسوءهم أن يبصق الإنسان أو يتمخط أمام الناس(١٠١) . وقد ظلوا إلى أيام خشيرشا مقتصدين فى مأكلهم ومشربهم ، لا يطعمون إلا وجبة واحدة فى اليوم ، ولا يشربون إلا الماء القراح(١٠٢) . وكانوا يعدون النظافة أكبر النعم لا تفضلها إلا الحياة نفسها وأن الأعمال الطيبة إذا صدرت عن أيد قذرة كانت لا قيمة لها ، لأن الإنسان إذا لم يقض على الفساد (ولعله يريد « الجراثيم ») فإن الملائكة لا تسكن فى جسمه(١٠٣) » . وكانوا يفرضون أشد العقوبات على من يتسببون فى نشر الأمراض المعدية ، وكان الأهلون يجتمعون فى الأعياد وكلهم يرتدون الملابس البيضاء(١٠٤) . وكانت الشريعة الأبستاقية كالشريعتين البرهمية والموسوية مليئة بمراسم التطهير والحذر من القذارة ؛ وفى كتاب الزردشتيين المقدس فقرات طويلة مملة خصّت كلها بشرح القواعد

(*) لما حارب الفرس الإسكندر عند نهر غرانيقوس كانت فرق المشاة الفارسية كلها تقريباً من مرتزقة اليونان . وفى موقعة إسوس كان قلب الجيش الفارسى مؤلفاً من ثلاثين ألفا من مرتزقة اليونان(٩٨) .

الواجب اتباعها لطهارة الجسد والروح(١٠٥) . وقد جاء فيها أن قلامة الأظفار ، وقصاصات الشعر ، وإخراج النفس من الفم كلها أقذار يجب على الفارسى العاقل أن يتجنبها إلا إذا كانت قد طهرت من قبل(٢٠٦) .

كذلك كانت الشرائع الفارسية صارمة فى عقاب خطايا الجسد صرامة الشرائع اليهودية ، فكان الاستمناء باليد يعاقب عليه بالجلد ، وكان عقاب من يرتكب جريمة الزنى واللواط والسحاق من الرجال والنساء « أن يقتلوا لأنهم أحق بالقتل من الأفاعى الزاحفة والذئاب العاوية(١٠٧) » . لكن فى مقدورنا أن نستدل من الفقرة الآتية التى أوردها هيرودوت على وجود الخلف المعتاد بين القول والعمل : « يرى الفرس أن خطف النساء قوة واقتداراً عمل لا يأتيه إلا الأشرار ، ولكن اشتغال الإنسان بالثأر لهن إذا اختطفن من أعمال الحمقى ؛ أما إهمالهن إذا اختطفن فمن أعمال الحكماء ؛ فغير خاف أنهن لو لم يكن راغبات لما اختطفن(١٠٨) » . ويقول فى موضع آخر إن الفرس « قد أخذوا عن اليونان اشتهاء الغلمان »(١٠٩) ، وإنا وإن كنا لا نستطيع أن نثق بكل ما يقوله هذا الراوية العظيم لنستشف ما يؤيد قوله هذا فى العبارات القاسية التى تشنع بها الأبستاق على اللواط . فهى تقول فى مواضع كثيرة إن هذا الذنب لا يغتفر وإنه « لا شىء يمحوه قط »(١١٠) .

ولم يكن القانون يشجع البنات على أن يظللن عذارى ولا العزّاب على أن يبقوا بلا زواج ، ولكنه كان يبيح التسرى وتعدد الزوجات ، ذلك بأن المجتمعات الحربية فى حاجة ماسة إلى كثرة الأبناء . وفى ذلك تقول الأبستاق : « إن الرجل الذى له زوجة يفضل كثيراً من لا زوجة له ، والرجل الذى يعول أسرة يفضل كثيراً من لا أسرة له ، والذى له أبناء يفضل كثيراً من لا أبناء له ، والرجل ذو الثراء أفضل كثيراً ممن لا ثروة له(١١١) » ، وتلك كلها معايير للمركز الاجتماعى شائعة بين مختلف الأمم ، وكانت الأسرة لديهم أقدس النظم الاجتماعية .

وكان من الأسئلة التى ألقاها زردشت على أهورا ــ مزدا : « أى إلهى خالق العالم المادى ــ إلهى القدوس ! ما هو المكان الثانى الذى تحس الأرض فيه أنها أسعد ما تكون ؟ » . ويجيبه أهورا ــ مزدا عن سؤاله هذا بقوله : « إنه المكان الذى يشيد فيه أحد المؤمنين بيتاً فى داخله كاهن ، وفيه ماشية ، وفيه زوجة ، وفيه أطفال ، وفيه أنعام طيبة ، والذى تكثر فيه الماشية بعدئذ من النتاج ، وتكثر فيه الزوجة من الأبناء ، وينمو فيه الطفل ، وتشتعل فيه النار ، وتزداد فيه جميع نعم الحياة[١١٢] »

وكان الحيوان ــ وخاصة الكلب ــ جزءاً أساسياً من الأسرة ، كما كان شأنه الوصية الأخيرة التى أنزلت على موسى ، وكان واجباً مفروضاً على أقرب الأسر إلى أنثى الحيوان الحامل الضالة أن تعنى بها[١١٣] ، وفرضت أشد العقوبات على من يطعمون الكلاب طعاماً فاسداً ، أو طعاماً شديد الحرارة ، وكان عقاب من « يضرب كلبة عليها ثلاثة كلاب » أن يجلد أربعمائة وألف جلدة[١١٤] . وكانوا يعظمون الثور لما له من قدرة عظيمة على الإخصاب . كما كانوا يصلّون للبقرة ويقرّبون لها القربان[١١٥] .

وكان الآباء ينظمون شئون الزواج لمن يبلغ الحلُمُ من أبنائهم . وكان مجال الاختيار لديهم واسعاً ، فقد قيل لنا إن الأخ كان يتزوج أخته ؛ والأب ابنته ، والأم ولدها[١١٦] . وكان التسرّى من المتع التى اختص بها الأغنياء ، ولم يكن الأشراف يخرجون للحرب إلا ومعهم سراريهم[١١٧] . وكان عدد السرارى فى قصر الملك فى العصور المتأخرة من تاريخ الإمبراطورية يتراوح بين ٣٢٩ ، ٣٦٠ ، فقد أصبحت العادة فى تلك الأيام ألا يضاجع الملك امرأة مرتين إلا إذا كانت رائعة الجمال[١١٨] .

وكان للمرأة فى بلاد الفرس مقام سام فى أيام زردشت كما هى عادة القدماء ؛

فقد كانت تسير بين الناس بكامل حريتها سافرة الوجه ، وكانت تمتلك العقار وتصرف شئونه ، وكان فى وسعها أن تدير شئون زوجها باسمه أو بتوكيل منه . ثم انحطت منزلتها بعد دارا ، وخاصة بين الأغنياء ؛ فأما المرأة الفقيرة فقد احتفظت بحريتها فى التنقل لاضطرارها إلى العمل ، وأما غير الفقيرات فقد كانت العزلة المفروضة عليهن فى أيام حيضهن كلّها تمتد حتى تشمل جميع حياتهن الاجتماعية ، وكان ذلك أساس نظام البردة عند المسلمين. ولم تكن نساء الطبقات العليا يجرؤن على الخروج من بيوتهن إلا فى هوادج مسجفة ، ولم يكن يسمح لهن بالاختلاط بالرجال علناً . وحرم على المتزوجات منهن أن يرين أحداً من الرجال ولو كانوا أقرب الناس إليهن كآبائهن أو إخوتهن . ولم تذكر النساء قط أو يرسمن فى النقوش أو التماثيل العامة فى بلاد الفرس القديمة . أما السرارى فكن أكثر من غيرهن حرية ، إذ كان يستعان بهن على تسلية ضيوف أسيادهن . وقد كان للنساء فى جميع الأوقات سلطان قوى فى بلاط الملوك حتى فى العهود الأخيرة ، وكن ينافسن الخصيان فى تدبير المؤامرات ، والملوك فى تمحيص وسائل التعذيب(١١٩)(*) .

وكان الأبناء كما كان الزواج من الشروط الأساسية للإجلال والإكبار . فالذكور منهم ذوو فائدة اقتصادية لآبائهم وحربية لملوكهم ، أما البنات فلم يكن يرغب فيهن ، لأنهن كن ينشأن لغير بيوتهن ، وليستفيد منهن غير آبائهن . ومن أقوال الفرس فى هذا المعنى : « إن الرجال لا يدعون الله أن يرزقهم بنات ، والملائكة لا تحسبهن من النعم التى أُنعم بها على بنى الإنسان »(١٢٠)

(*) كانت استاثيرا زوجة أرت خشتر الثانى مثلا صالحا للأزواج ، ولكن أمه پاريستا قتلتها مسمومة غيرة منها وحسدا ، وشجعت الملك أن يتزوج ابنته أتوسا ، وحدث أن أخذت تلعب النرد معه وتراهنه على حياة أحد خصيانه ، فلما كسبت الرهان أمرت بسلخه حيا . وأمر أرت خشتر مرة بإعدام جندى كارى ، فما كان من پاريستا إلا أن هذبت أمره ، فاستبدلت بهذا الإعدام شده على عذراء عشرة أيام كاملة وسمل عينيه ، وصب مصهور الرصاص فى أذنيه حتى يموت »(١١٩) .

(العذراء شىء من حديد يعذب به الإنسان لإقرار بأمر أو نحوه — المحيط)

وكان الملك فى كل عام يرسل الهدايا إلى الآباء الكثيرى الأبناء ، كأن هذه الهدايا ثمناً لدمائهم يدفع مقدما(١٢١) .

وكان الحمل سفاحا سواء ممن لم يتزوجن من البنات أو ممن تزوجن منهن يغتفر أحياناً إذا تجهض الحامل ، ذلك أن الإجهاض كان فى تقديرهم أشد جرما من سائر الجرائم ، وكان عقابه الإعدام(١٢٢) .

وقد ورد فى أحد الشروح القديمة المسماة بالبندهش وصف لجملة وسائل لمنع الحمل ، ولكنها تحذر الناس الالتجاء إليها .

ومما جاء فيها : « وفيما يختص بالتناسل قيل فى الكتاب المنزل إن المرأة إذا خرجت من الحيض تظل عشر ليال وعشرة أيام عرضة للحمل إذا اقترب منها الرجال »(١٢٣) .

وكان الوليد يبقى فى حضانة أمه حتى السنة الخامسة من عمره ثم يحتضنه أبوه حتى السابعة . وفى هذه السن يدخل المدرسة . وكان التعليم يقصر فى الغالب على أبناء الأغنياء ويتولاه الكهنة عادة . فكان التلاميذ يجتمعون فى الهيكل أو بيت الكاهن ؛ وكان من المبادئ المقررة ألا تقوم مدرسة بالقرب من السوق حتى لا يكون ما يسودها من كذب وسباب وغش سبباً فى إفساد الصغار(١٢٤) . وكانت الكتب الدراسية هى الأبستاق وشروحها ، وكانت المواد الدراسية تشمل الدين ، والطب أو القانون ؛ أما طريقة الدرس فكانت الحفظ عن ظهر قلب ، وتكرار الفقرات الطويلة غيباً (١٢٥) . أما أبناء الطبقات غير الموسرة فلم يكونوا يفسدون بتلقى ذلك النوع من التعليم ، بل كان تعليمهم مقصوراً على ثلاثة أشياء — ركوب الخيل ، والرمى بالقوس ، وقول الحق(١٢٦) . وكان التعليم العالى عند أبناء الأثرياء يمتد إلى السنة العشرين أو الرابعة والعشرين ، وكان منهم من يعد إعداداً خاصاً لتولى المناصب العامة أو حكم الولايات ؛ وكانوا كلهم بلا استثناء يدربون على القتال . وكانت حياة الطلاب فى هذه المدارس العليا

حياة شاقة . فكان التلاميذ يستيقظون مبكرين ، ويدربون على الجرى مسافات طوالا ، وعلى ركوب الخيل الجامحة وهى تركض بأقصى سرعتها ، والسباحة ، وصيد الحيوان ، ومطاردة اللصوص ، وفلاحة الأرض ، وغرس الأشجار ، والمشى مسافات طوالاً فى حر الشمس اللافح أو البرد القارس ؛ وكانوا يدربون على تحمل جميع تقلبات الجو القاسية ، وأن يعيشوا على الطعام الخشن البسيط ، وأن يعبروا الأنهار دون أن تبتل ملابسهم أو دروعهم(١٢٧) .

لقد كان هذا فى الحق تعليما ينشرح له صدر فردرك نتشة فى اللحظات التى يستطيع فيها نسيان ثقافة اليونان الأقدمين وما فيها من تنوع وبريق .

الفصل الثامن

العلوم والفنون

الطب – الفنون الصغرى – قبرا قورش ودارا – قصور برسبوليس – نقش الرماة – قيمة الفن الفارسى

ياوح أن الفرس قد تعمدوا ألا يعلموا أبناءهم أى فن من الفنون عدا فن الحياة . فأما الأدب فقد كان فى رأيهم ترفاً قل أن يحتاجوا إليه ، وأما العلوم فقد كانت سلعاً يستطيعون أن يستوردها من بابل . نعم إنهم كانوا يستسيغون بعض الاستساغة الشعر والروايات الخيالية ، ولكنهم تركوا هذين الفنين للمستأجرين وذوى المنزلة الدنيا منهم ، وآثروا منعة الحديث الفكه على لذة السكون والوحدة فى البحث والقراءة .

وكان الشعر عتادهم يغنى أكثر مما يقرأ ، فلما مات المغنون مات الشعر معهم .

وكان الطب فى بادئ الأمر من أعمال الكهنة ، وكانوا يمارسونه على أساس أن الشيطان خلق ٩٩٩ر٩٩ مرضاً يجب أن تعالج بمزيج من السحر ومراعاة قواعد الصحة العامة . وكانوا يعتمدون فى علاج المرضى على الرقى أكثر من اعتمادهم على العقاقير ، وحجتهم فى هذا أن الرقى ، إن لم تشف من المرض ، لا تقتل المريض ، وهو ما لا يستطاع قوله عن العقاقير(١٢٨) إلا أن الطب مع ذلك قد نشأ بين غير رجال الدين حينما زادت ثروة الفرس زيادة مطردة ، حتى إذا كان عهد أرت خشتر الثانى تكونت فى البلاد نقابة للأطباء والجراحين وحدد القانون أجورهم – كما حددها قانون حمورابى – وفقاً لمنزلة المريض الاجتماعية(١٢٩) .

وقد نص القانون على أن يعالج الكهنة من غير أجر ، وكان يطلب إلى الطبيب الناشئ عند الفرس أن يبدأ حياته الطبية بعلاج الكفرة والأجانب ،

كما نفعل نحن فى هذه الأيام ، إذ يقضى الطبيب المقيم سنة أو سنتين فى المران على أجسام المهاجرين والفقراء . بذلك قضى ربُّ النور نفسه إذ قال :

« يا خالق الكون يا قدوس ، إذا شاء عبد من عباد الله أن يمارس فن العلاج ، فأى الناس يجب أن يجرّب فيهم حذقه ؟ أيجرّبه فى عباد أهورا — مزدا أم فى عبدة الشياطين ؟ . فأجاب أهورا — مزدا بقوله : يجب أن يجرب نفسه فى عبدة الشياطين لا فى عباد الله ؛ فإذا عالج بالمبضع عبداً من عبدة الشياطين فمات ؛ وإذا عالج بالمبضع عبداً ثانياً من عبدة الشياطين فمات ؛ وإذا عالج بالمبضع عبداً ثالثاً من عبدة الشياطين فمات ، كان غير صالح أبد الدهر ، ويجب أن يمتنع عن علاج أى عبد من عباد الله . . . وإذا عالج بالمبضع عبداً من عبدة الشياطين وشفى ؛ وإذا عالج بالمبضع عبداً ثانياً من عبدة الشياطين وشفى ، وإذا عالج بالمبضع عبداً ثالثاً من عبدة الشياطين وشفى ، كان صالحاً أبد الدهر ، وكان له إذا أراد أن يعالج عباد الله ، ويشفيهم من أمراضهم بالمبضع »(١٣٠) .

ولما كان الفرس قد وهبوا أنفسهم لإقامة صرح الإمبراطورية ، فإن وقتهم لم يتسع لغير الحرب والقتال ، ولذلك كان جل اعتمادهم فى الفنون على ما يأتيهم من البلاد الأجنبية ، شأنهم فى هذا شأن الرومان سواء بسواء . نعم إنهم كانوا يتذوقون جمال الأشياء ، ولكنهم كانوا يكلون إلى الفنانين الأجانب أو إلى من فى بلادهم من الفنانين أبناء الأجانب صنع هذه الأشياء ؛ ويحصلون من الولايات التابعة لهم على المال الذى يؤدون منه أجور أولئك الفنانين . وكانت لهم بيوت جميلة وحدائق غناء ، تستحيل فى بعض الأحيان بساتين للصيد ومسارح للحيوان ؛ وكان لهم أثاث قيم غالى الثمن : من نضد مصفحة برقائق الفضة والذهب أو مطعمة بها ، وسرر فرشت عليها أغطية جاءوا بها من غير بلادهم ، وطنافس لينة جمعت كل ألوان الأرض والسماء يفرشون بها أرض حجراتهم(١٣١) . وكانوا يشربون فى كؤوس من الذهب ،

ويزينون نضدهم ورفوفهم بمزهريات من صنع الأجانب(*) . وكانوا مولعين بالعزف والغناء وبأنغام الناى والقيثار والنقر على الطبول والدفوف .

وكانت الجواهر كثيرة لديهم من تيجان وأقراط ، إلى خلاخيل وأحذية مذهبة . وحتى الرجال أنفسهم كانوا يتباهون بحليهم يزينون بها أعناقهم وآذانهم وأذرعهم . وكانوا يستوردون اللؤلؤ ، والياقوت ، والزمرد ، واللازورد من خارج بلادهم . أما الفيروز فكانوا يستخرجونه من المناجم الفارسية ، وكان هو المادة التى تصنع منها الطبقة الموسرة أختامها . وكانت لهم حلىّ ذات أشكال رهيبة غريبة تمثل فى ظنهم ملامح الشياطين المعروفة لديهم . وكان ملكهم يجلس على عرش من ذهب تغطيه أكنان ذهبية مرفوعة على قوائم من الذهب(١٣٢) .

ولم يكن للفرس طراز فنى خاص إلا فى العمارة . فقد شادوا فى أيام قورش ، ودارا الأول وخشيارشاى الأول مقابر وقصوراً ، كشف علماء الآثار القليل منها ، وقد يستطيع المعول والمجراف — وهما المؤرخان اللذان لا ينقطعان عن البحث والتنقيب — أن يكشفا لنا فى المستقبل القريب ما يعلى من تقديرنا لفن الفارسى(**) . ولقد أبقى لنا الإسكندر بفضل ما أثر عنه من كريم الشيم قبر قورش فى بازارجادة ، فأصبح طريق القوافل فى هذه الأيام يمر بالطوار العارى الذى كان يقوم عليه من قبل قصر قورش وقصر ابنه المخبول . ولم يبق الآن من هذين القصرين غير عمد قليلة محطمة فى مواضع متفرقة ، أو كتف باب أو نافذة عليها نقوش تمثل ملامح قورش . وعلى مقربة من هذا الطوار فى السهل المجاور له يشاهد القبر وقد

(*) وقد عرضت إحدى هذه المزهريات فى المعرض الدولى للفن الفارسى الذى أقيم فى لندن عام ١٩٣١ : وكان عليها نقش يثبت أنها من مزهريات أرت خشتر الثانى(١٢٣) .

(**) تعمل الآن بعثة من بعثات معهد الشرق التابع لجامعة تشكاجو فى التنقيب فى أنقاض پرسپوليس بإشراف الدكتور چيمس . هـ . برستد . ولقد كشفت هذه البعثة فى عام ١٩٣١ عن طائفة من التماثيل لا يقل عددها عن كل ما كان معروفا قبلها من التماثيل الفارسية (كتب هذا قبل وفاة الدكتور برستد) . (المترجم)

عدا عليه الزمان فى خلال القرون الأربعة والعشرين ، التى مرت به ؛ فهو الآن ضريح حجرى بسيط ، يونانى فى شكله وتحرج صانعه ، يرتفع إلى ما يقرب من خمس وثلاثين قدما فوق قاعدة مدرجة . وما من شك فى أن هذا الأثر كان أعلى مما هو الآن ، وأنه كانت له قاعدة تتناسب مع ضخامته . أما الآن فإنه يبدو عاريا عطلا من الزينـــة مهجورا ، توحى صورته بالجمال الذى لا يكاد يبقى منه أثر فيه ؛ وكل ما يبعثه فى النفس هو الأسى والحزن ، لأن الجماد أبقى على الزمان من سواه . وإلى أقصى الجنوب عند نقش رستم غير بعيد من پرسپوليس يقوم قبر دارا الأول منحوتاً فى واجهة صخرة فى الجبل كأنه ضريح هندوسى ، وقد نقش مدخله ليمثل لمن يراه واجهة قصر لا قبر ، وأقيمت عند هذا المدخل أربعة أعمدة دقيقة حول باب غير شامخ . ومن فوق هذا الباب شخوص قائمة كأنها فوق سقف يمثل أهل البلاد الخاضعة للفرس تحمل منصة رسم عليها الملك كأنه يعبد أهورا — مزدا والقمر . والفكرة التى أوحت بهذا الرسم وطريقة تنفيذها تسرى فيهما روح البساطة والرقة الأرستقراطية .

والمبانى الفارسية الأخرى التى نجت من الحروب والغارات والسرقات وفعل الجواء مدى ألفين من الأعوام ، هى خرائب القصور . فقد شاد ملوك الفرس الأولون فى إكباتانا مسكناً من خشب الأرز والسرو المصفح بالمعادن ، كان لا يزال قائماً فى أيام پوليبيوس (حوالى ١٥٠ ق . م) ، أما الآن فلم يبق له أثر . أما أروع الآثار الفارسية القديمة التى تنفرج عنها الأرض القابضة الكتوم يوماً بعد يوم فهى الدرج الحجرية والأرصفة والأعمدة التى كشفت فى پرسپوليس . ذلك أن دارا ومن جاء بعده من ملوك الفرس قد أقاموا لهم فيها قصوراً يحاولون أن يربحوا الوقت الذى تنسى فيه أسماؤهم . ولسنا نجد فى تاريخ العمائر كلها ما يشبه الدرج الخارجية العظيمة التى كان التقدم من السهل يرقاها إلى الربوة التى شيدت عليها القصور .

وأكبر الظن أن الفرس أخذوا هذا الطراز عن الدرج التى كانت توصل إلى الزجورات ، أى أبراج أرض الجزيرة ، وتلتف حولها ، ولكنها كان لها مع ذلك خصائص لا يشاركها فيها غيرها من المبانى . ذلك أنها كانت سهلة المرتقى واسعة يستطيع عشرة من ركاب الخيل أن يصعدوها جنباً إلى جنب(١٣٥)(*) . وما من شك فى أن هذه الدرج كانت مدخلا بديعاً إلى الطوار الفسيح الذى يعلو عن الأرض المجاورة له علواً يتراوح بين عشرين وخمسين قدماً ، والذى يبلغ طوله خمسمائة وألف قدم . وعرضه ألفاً ، والذى شيدت عليه القصور الملكية(**) . وكان عند ملتقى الدرج الصاعدة من الجانبين مدخل أمامى كبير نصبت على جانبيه تماثيل ثيران مجنحة ذات رءوس بشرية كأبشع ما خلفه الفن الأشورى . وكانت فى الجهة اليمنى بعد هذا المدخل آية العمائر الفارسية على الإطلاق ، ونعنى بها الجهل — منار أو الردهة العظمى التى شادها خشيارشاى الأول ، والتى كانت هى وغرفات الانتظار المتصلة بها تشغل رقعة من الأرض تربى مساحتها على مائة ألف قدم مربعة ، فهى أوسع — إذا كان للسعة قيمة — من معبد الكرنك الفسيح ومن أية كنيسة أوربية عدا كنيسة ميلان(١٣٨) .

وكانت هناك مجموعة أخرى من الدرج تؤدى إلى هذه الردهة الكبرى ، وتحف بها من كلا الجانبين جدر لزينتها قليلة الارتفاع ، وعلى جوانبها نقوش بارزة قليلا هى أجمل ما كشف من النقوش الفارسية القليلة البروز إلى هذا اليوم(١٣٩) . ولا يزال ثلاثة عشر عموداً من الاثنين والسبعين التى كانت قائمة فى قصر خشيارشاى باقية إلى اليوم بين خربات القصر ، كأنها جذوع نخل فى واحة مقفرة موحشة . وتعد هذه الأعمدة المبتورة من الأعمال البشرية القريبة من الكمال ، وهى أرفع من

(*) وصفها فرجسون بأنها « أروع مثل للدرج وجدت فى أية بقعة من العالم »(١٣٦) .

(**) وكانت تجرى تحت هذا الطوار سلسلة معقدة من القنوات لتصريف الماء يبلغ قطر الواحدة منها ست أقدام تحت الكثير منها الصخر الأصم(١٣٧) .

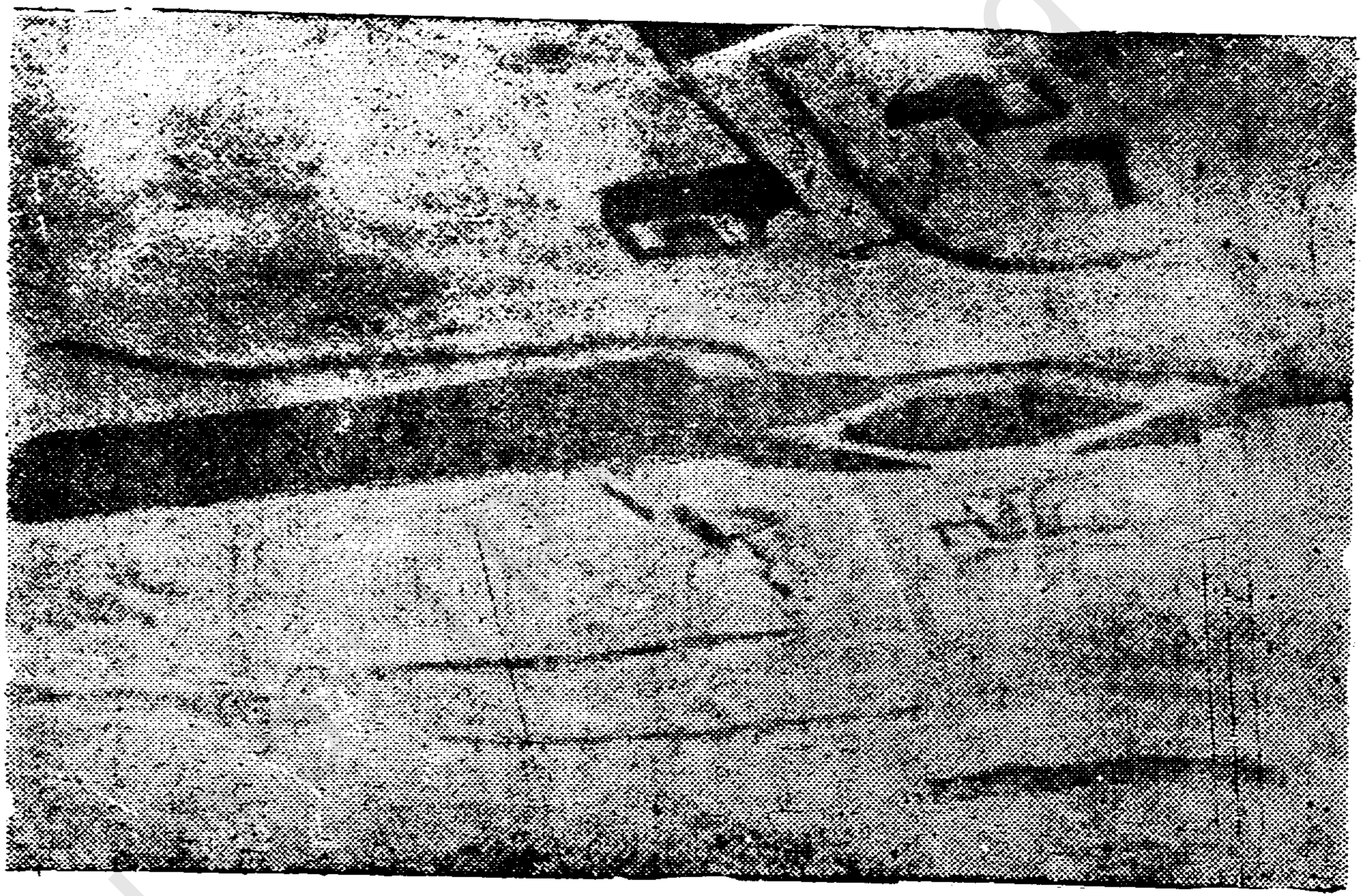

مثيلاتها فى مصر القديمة أو اليونان ، وتعلو فى الجو علواً لا تصل إليه معظم الأعمدة الأخرى ، إذ يبلغ ارتفاعها أربعا وستين قدماً ، وقد خطت فى جذوعها ستة وأربعون مخزاً . وتشبه قواعدها أجراساً تغذيها أوراق أشجار مقلوبة الوضع ، ومعظم تيجانها فى صورة لفائف من الأزهار تكاد تشبه اللفائف « الأيونية » ، يعلوها صدرا ثورين أو حصانين مقرّنين يتصل عنقاهما من الخلف وترتكز عليهما عوارض السقف. ولسنا نشك فى أن هذه العوارض كانت من الخشب ، لأن أمثال هذه العمد المتباعدة السريعة العطب لا تقوى على تحمل الدعامات الحجرية الثقيلة . وكانت أكتاف الأبواب وكفافات النوافذ من حجارة سود مزخرفة برّاقة كالأبنوس . أما الجدران فكانت من الآجر يغطيها القرميد المصقول رسمت عليه صور زاهية تمثل حيوانات وأزهاراً . وكانت العمد والفصوص والدرج من حجر الجير الجميل أو الرخام الأزرق الصلد . وقام من خلف الجهل — منار ، أى من شرقيها « للبهو العمد المائة » . ولم يبق من هذا البهو سوى عمود واحد والحدود الخارجة لتصميمه العام . ولعل هـــذين القصرين كانا أجمل ما شاده الإنسان فى العالم القديم والحديث على السواء .

وأقام أرت خشتر الأول والثانى فى مدينة السوس قصرين لم يبق منهما إلا أساسهما : ذلك أنهما شيدا من الآجر المكسو بأجمل ما عرف من القرميد ذى الطلاء الزجاجى . وفى السوس عثر المنقبون على « نقش الرماة » وهم أكبر الظن « المخلدون » الأمناء حراس الملك . ويبدو للناظر إلى هؤلاء الرماة ذوى الطلعة المهيبة أنهم قد ازينوا لحضور حفلة فى القصر وليسوا خارجين لقتال أو حرب . فجلابيبهم تخطف الأبصار بألوانها الزاهية ، وشعورهم ولحاهم مجعدة تجعيداً عجيباً ، وهم ممسكون بأيديهم فى قوة وخيلاء رماحهم رمز مناصبهم الرسمية ، ولم يكن التصوير والنحت فى السوس وفى غيرها من العواصم فنين مستقلين ، بل كانا تابعين لفن العمارة ، كذلك كانت الكثرة الغالبة من التماثيل من صنع

شكل (٣٨) نقش « الرماة »

نقش ملون على القرميد وجد فى السوس — محفوظ فى متحف اللوفر

فنانين جيء بهم من آشـــور وبابل وبلاد اليونان(١٤٠)

وفى وسع الإنسان أن يقول عن الفن الفارسى ما يستطيع أن يقوله عن الفنون كلها تقريباً ، وهو أن عناصره كلها مستعارة من خارج البلاد ، فقير قورش استعير شكله الخارجى من ليديا ، وعمده الحجرية الرفيعة منقولة عن مثيلاتها من العمد الأشـــورية مع شيء من التحسين ، وبهو الأعمدة الضخمة والنقوش القليلة البروز تشهد بأنها قد أوحت بها أبهاء مصر ونقوشها ، وتيجان الأعمدة التى على صورة الحيوان عدوى تسربت إليهم من نينوى وبابل . أما الذى جعل فن العمارة الفارسى فناً قائماً بذاته مختلفاً عن غيره من فنون العمارة فهو اجتماع هذه العناصر كلها والمواءمة بينها ، وهو الذوق الأرستقراطى الذى رقق العمد المصرية المهولة وكتل أرض الجزيرة الثقيلة فأحالها بريقاً ورشاقة ، وتناسباً وتناغماً ، يطالعنا فى برسپوليس .

وكان اليونان يستمعون إلى وصف هذه الأبهاء والقصور وهم أشد ما يكونون دهشة منها وإعجاباً بها ، لأن تجارهم المجدين العاملين وساستهم المطلعين كانوا يحدثونهم عن فنون الفرس وترفهم بما يثير عواطفهم ويحفزهم إلى منافستهم . وسرعان ما استبدلوا برءوس العمد المزدوجة وبالحيوانات ذوات الأعناق الجامدة المتصلبة القائمه فوق العمد الرشيقة ، نقول سرعان ما استبداوا بها الفصوص الملساء التى نراها فى تيجان العمد الأيونية ؛ ثم قصروا سوقها ، وزادوها قوة لكى تتحمل أية عارضة ترتكز عليها سواء أكانت من الخشب أم من الحجر . والحق أنه لم يكن بين فنى العمارة فى برسپوليس وأثينة إلا خطوة واحدة ، فقد كان عالم الشرق الأدنى على بكرة أبيـــه موشكا أن يستغرق فى سبات عميق كأنه الموت إلا أنه موت لا يدوم إلا آلف عام ، كان عالم الشرق يتأهب ليستودع اليونان تراثه القديم .

الفصل التاسع

الانحطاط

كيف تمدرت الأمم — خشيارشاى — فقرة عن التقتيل —
أرت خشتر الثانى — قورش الأصغر — دارا الصغير —
أسباب الانحطاط السياسية والحربية والخلقية —
الاسكندر — فتح فارس والزحف على الهند

لم تكد الإمبراطورية التى أقامها دارا تعمر إلا قرناً من الزمان ؛ ذلك أن قواها الطبيعية المادية والأدبية قد تصدعت على أثر الهزائم التى منيت بها فى مراثون ، وسلاميس ، وبلاتية . وأهمل الأباطرة شئون الحرب ، وانغمسوا فى الشهوات ، وتردت الأمة فى مهاوى الجمود والفساد . ويكاد اضمحلال فارس أن يكون فى جملته وتفاصيله صورة معجلة من سقوط رومة ؛ فقد اقترن فيه عنف الأباطرة وإهمالهم بفساد أخلاق الشعب وانحلالها ، وحل بالفرس ما حل بالميديين قبلهم ، إذ استحال ما كانوا يتصفون به من تقشف وزهد منذ أجيال قليلة إلى استمتاع طليق ، وأصبح أكبر ما تهتم به الطبقات الأرستقراطية ملء بطونها بلذيذ المأكل والمشرب ؛ وشرع هؤلاء الرجال الذين فرضوا على أنفسهم من قبل ألا يتناولوا إلا وجبة واحدة من الطعام فى اليوم يفسرون معنى الوجبة الواحدة بأنها وجبة تمتد من الظهر إلى غسق الليل ، فامتلأت مخازن مؤنهم بكل ما لذ وطاب ، وكثيراً ما كانوا يقدمون الذبائح كاملة لضيوفهم ، وملأوا بطونهم باللحوم السمينة النادرة ، وتفننوا فى ابتكار أنواع المشهيات والحلوى[١٤٠ا] . وغصت بيوت الأثرياء بالخدم الفاسدين المفسدين ، وأصبح السكر رذيلة شائعة بين كل الطبقات[١٤٠ب] . وملاك القول أن قورش ودارا قد خلقا بلاد الفرس وأن خشيارشاى ورثها عنهما ثم جاء من خلفهم من الملوك فدمروها تدميراً .

وكان خشيارشاى الأول ملكاً اجتمعت فيه كل صفات الملوك — الجسمية — ؛ كان طويل القامة ، قوى الجسم ، يقر له الملوك بأنه أجمل إنسان فى الإمبراطورية كلها(١٤١) . ولكن الرجل الوسيم غير المغتر لم يخلق بعد فى هذا العالم ، كما لم يخلق فيه بعد الرجل المغتر بقوته الذى لم تقده امرأة من أنفه . لقد كان خشيارشياى نهباً لسراريه ، وما كان أكثرهن ، وضرب أسوأ الأمثال لشعبه فى الفسق والفجور . ولقد كانت هزيمته فى سلاميس هزيمة طبيعية متوقعة ؛ ذلك أن كل ما كان له من أسباب العظمة هو حب التعاظم لا قدرته على مغالبة الخطوب ، والتحلى بصفات الملوك الحقة إذا دعا الداعى وتأزمت الأمور . وبعد أن قضى هذا الملك عشرين عاماً فى غمرة الدسائس الشهوانية ، والتراخى والإهمال فى شئون الحكم ، اغتاله أرتبان(*) أحد رجال حاشيته ، ثم وورى فى قبره باحتفال ملكى مهيب واغتباط شامل .

وليس فى التاريخ كله ما يماثل المجازر المروعة والدم المراق اللذين تطالعنا بهما سجلات الفرس الملكية إلا سجلات رومة بعد تيبيريوس . لقد اغتال أرت خشتر الأول مغتال خشيارشاى ، وبعد أن حكم أرت خشتر حكماً طويلا خلفه خشيارشاى الثانى ، ثم اغتاله بعد بضعة أسابيع من حكمة أخ له غير شقيق يدعى سجديانوس ، ثم قتله دارا الثانى بعد ستة أشهر كما أمر بقتل تريتُتشميس فأخمد بقتله فتنة أثار مجاجها فى البلاد ، ثم أمر بتقطيع زوجته إرباً ودفن أمه وإخوته وأخواته أحياء . وخلف دارا الثانى على العرش ابنه أرت خشتر الثانى ، واضطر هذا الملك أن يقاتل فى واقعة كونسكا أخاه قورش الأصغر قتالا مريراً ، لأن هذا الشاب حاول أن يغتصب الملك . وحكم أرت خشتر حكماً طويلا ، وقتل ابنه دارا لأنه ائتمر به ، ثم مات بائساً حزيناً إذ وجد أن ابناً آخر له يدعى أوكوس يأتمر به ليقتله . وحكم أوكوس عشرين سنة ثم مات مسموماً على يد

(*) يكتب أحياناً أردوان ويسميه اليونان أرتيانوس . (المترجم)

قائده بجواس ، وأجلس هذا القائد السفاح « صانع الملوك » ابناً لأكوس يسمى أرسيس على العرش ، واغتال أخا لأرسيس ليثبت بذلك مركز صنيعته ، ثم اغتال أرسيس وأبناءه الصغار ، ورفع على العرش كودومانوس ، وهو صديق له مخنث مطواع ، وحكم كودومانوس ثمانى سنين ، سمى باسم دارا الثالث ثم مات وهو يحارب الإسكندر فى واقعة إربل حين كانت بلاده تلفظ آخر أنفاسها . ولسنا نعرف فى دولة من الدول حتى الدول الدمقراطية فى هذه الأيام قائداً أقل كفاية وجدارة بقيادة الجيوش من هذا القائد .

إن الإمبراطوريات بطبيعة تكوينها سريعة الانحلال ، وإن الذين يرثونها تعوزهم جهود الذين ينشئونها ، ذلك فى الوقت الذى تهب فيه الشعوب الخاضعة لسلطانها وتستجمع قواها لتناضل فى سبيل ما فقدته من حريتها . كذلك ليس من طبيعة الأشياء أن تبقى الأمم التى تختلف لغاتها وأديانها وأخلاقها وتقاليدها متحدة متماسكة زمنا طويلا . ذلك أن هذه الوحدة لا تقوم على أساس متماسك يحفظها من التصدع ، ولا بد من الالتجاء إلى القوة مرة بعد مرة للاحتفاظ بهذه الرابطة المصطنعة . ولم يعمل الفرس فى عهد إمبراطوريتهم الذى دام مائتى عام شيئا يخفف ما بين الشعوب الخاضعة لحكمهم من تباين ، أو يضعف من أثر القوى الطاردة التى تعمل على تفكك دولتهم ، بل قنعت هذه الإمبراطورية بأن تحكم خليطا من الأمم ، ولم تفكر فى يوم من الأيام فى أن تنشئ منها دولة حقيقية . لذلك أخذ الاحتفاظ بوحدة الإمبراطورية يزداد صعوبة عاماً بعد عام ، وكلما تراخى عزم الأباطرة قويت أطماع الولاة وزادوا جرأة ، وأخذوا يرهبون أو يبتاعون بالمال قواد الجيش وأمناء الإمبراطور الذين أرسلوا إلى الولايات ليشتركوا مع الولاة فى الحكم ويحدوا من سلطانهم . ثم أخذ الولاة يقودون جيوشهم ويزيدون مواردهم كما يحلو لهم ، ويأتمرون بالملك المرة بعد المرة . وأوهنت الثورات والحروب المتكررة حيوية فارس الصغيرة ، ذلك أن الحروب قد قضت على زهرة شبابها القوى حتى لم يبق من

أبنائها إلا كل حذر محتاط . فلما أن جند هؤلاء لمواجهة الإسكندر تبين أنهم لا يكاد يوجد فيهم إلا كل منخوب القلب جبان . ولم يكن شيء من التحسين قد أدخل على تدريب الجنود أو على عتادهم الحربي ، ولم يكن قوادهم على علم بما يستجد من فنون القتال . فلما دارت رحى الحرب ارتكب هؤلاء القواد أشنع الأغلاط ، وكانت عساكرهم المختلة النظام ، والتى كان معظمها مسلحاً بالسهام، أهدافاً صالحة لرماح المقدونيين الطويلة وفيالقهم المتراصة(١٤٢) لقد كان الإسكندر يلهو ويعبث ، ولكنه لم يكن يفعل ذلك إلا بعد أن يتم له النصر ، أما قواد الفرس فقد جاءوا معهم بسراريهم ، ولم يكن منهم من هو راغب فى القتال ، ولم يكن فى الجيش الفارسى جنود جديرون بهذا الاسم إلا مرتزقة اليونان .

ولقد تبين منذ اليوم الذى فر فيه خشيارشاى بعد هزيمته فى سلاميس أن اليونان سيتحدون الدولة الفارسية فى يوم من الأيام . ذلك أن فارس كانت تسيطر على أحد طرفى الطريق التجارى العظيم الذى يربط غربى آسية بالبحر المتوسط ، وأن بلاد اليونان تسيطر على طرفه الثانى ، وكان ما ركب فى طباع الناس من أقدم الأزمنة من طمع وحرص على الكسب مما يجعل هذه الحال مثاراً للحرب بين الأمتين ، ولم يكن اليونان ينتظرون لبدء الهجوم إلا أن يقوم بينهم سيد منهم يضم شتاتهم ويؤلف بين قلوبهم

واجتاز الإسكندر مضيق الدردنيل دون أن يلقى مقاومة ، ومعه قوة من رجاله ، خالها الأسيويون ضئيلة ، إذ كانت مؤلفة من ثلاثين ألفاً من المشاة وخمسة آلاف من الفرسان(*) ؛ وحاول جيش فارسى مؤلف من أربعين ألف مقاتل أن يصد جيش الإسكندر عند نهر غرانيقوس ، فخسر الفرس فى الواقعة عشرين ألف مقاتل ؛ ولم يخسر الجيش اليونانى إلا ١١٥ رجلا(١٤٤) ، واتجه

(*) ويقول يوسفوس « إن كل من كان فى آسية كان مقتنعا بان اليونان لن يجرؤوا على الاشتباك فى حرب مع الفرس لكثرتهم(١٤٣) .

الإسكندر جنوباً وشرقاً ، يخضع بعض المدائن ، ويستسلم له الهعص الاخر ؛ ودام على ذلك عاماً كاملا . وجمع دارا الثالث فى هذه الأثناء خليطاً من ٦٠٠ر٠٠٠ رجل بين جندى ومغامر . وتطلَّب عبورهم نهر الفرات على جسر من القوارب خمسة أيام ، كما تطلَّب حمل أموال الملك ستمائة بغل وثلثمائة جمل(١٤٥) . ولما تقابل الجيشان عند إسوس ، لم يكن مع الإسكندر إلا ثلاثون ألفاً من رجاله ، ولكن دارا كان يتصف بكل ما تتطلبه تصاريف الأقدار من غباء ، فاختار للقتال ميدانا لا يتسع إلا لجزء صغير من جيشه أن يقاتل اليونان على حين يبقى سائره معطلا . فلما انتهت المجزرة وجد أن اليونان قد خسروا نحو ٤٥٠ رجلا ، وخسر الفرس ١١٠ر٠٠٠ رجل ، قتل معظمهم وهم يفرون مذعورين . وطارد الإسكندر الجيوش المهزومة مطاردة طائشة عبر فى أثنائها مجرى مائياً على جسر من جثث الفرس(١٤٦) . وفر دارا من الميدان فرار الأنذال ، وترك فيه أمه وزوجة من أزواجه وابنتين وعربة وخيمة مترفة . وعامل الإسكندر السيدات الفارسيات بشهامة أدهشت المؤرخين اليونان ، واكتفى بأن تزوج إحدى ابنتى دارا . وإذا جاز لنا أن نصدق ما قاله كونتس كورتيس ، فإن أم دارا أحبت الإسكندر حباً لم تر معه بدًّا من أن تقضى على حياتها بالامتناع عن الطعام حين علمت بوفاته(١٤٧) .

وواصل الشاب الفاتح بعدئذ سيره فى بطء ، يخيل إلى الإنسان أنه بطء المستهتر ، يريد أن يبسط سلطانه على غربى آسية بأجمعه . غير أن بطأه هذا كان ناشئاً من رغبته فى ألا يتقدم قبل أن ينظم فتوحه ، ويؤمن مواصلاته . وخرج سكان مدينة بابل على بكرة أبيهم ، كما خرج أهل بيت المقدس من قبل للترحيب به ، وقدموا له مدينتهم وما فيها من ذهب ، فتقبل منهم ما عرضوه فى لطف وبشاشة ، وسرّهم بأن أمر بإصلاح هياكلهم التى هدمها خشيارشاى من قبل دون تدبر وروية . وأرسل إليه دارا يعرض عليه الصلح ، وكان مما عرضه أن يقدم للإسكندر

عشرة آلاف تالنت من الذهب(*) ، إذا رد إليه أمه وزوجته وابنتيه ، وأن يزوجه ابنته ، وأن يعترف له بالسيادة على جميع بلاد آسية الواقعة فى غرب الفرات ، وأنه لا يطلب إليه فى نظير هذا كله إلا أن يأمر الإسكندر بوقف القتال وأن يتخذه صديقاً له . وقال پارمنيو القائد الثانى لجيوش اليونان إنه لو كان الإسكندر لقبل هذه العروض الطيبة مسروراً فينجو بشرفه من شر هزيمة قد تكون ساحقة . فما كان جواب الإسكندر إلا أن قال إنه لو كان هو پرمنيو لقبل هذه العروض ، أما وهو الإسكندر فقد رد على دارا بأن عروضه لا معنى لها ، لأنه (أى الإسكندر) يمتلك بالفعل ما يعرضه عليه من بلاد آسية ، ولأن فى وسعه أن يتزوج ابنة الإمبراطور متى شاء . ووجد دارا أن لا أمل له فى عقد الصلح مع هذا المنطيق المستهتر ، فوجّه همه على كره منه لجمع جيش آخر أكبر من جيشه الأول .

وكان الإسكندر فى أثناء ذلك قد استولى على صور ، وضم مصر إلى أملاكه ، ثم اخترق إمبراطوريته العظيمة متجهاً نحو حواضرها النائية . وبعد مسيرة عشرين يوماً بعد بابل وصل جيشه إلى مدينة السوس ، واستولى عليها دون أن يلقى مقاومة ، ثم تقدم إلى پرسپوليس بسرعة لم تمكن حراس الخزائن الملكية من إخفاء ما فيها من أموال . وفيها أتى الإسكندر عملا يعد وصمة عار فى حياته الحافلة بجلائل الأعمال ، أتاه رغم نصيحة پرمنيو ليكسب بذلك — كما يقول مؤرخوه — رضاء تيس إحدى سراريه(**) . ذلك أنه أحرق قصور پرسپوليس عن آخرها ، وأباح لجنوده نهب المدينة . فلما أن رفع روح جنوده المعنوية بما أباح لهم من السلب ، وبما أغدقه عليهم من العطايا ، اتجه نحو الشمال ليلقى دارا لآخر مرة .

وكان دارا قد جمع من الولايات الفارسية — وخاصة من ولاياته الشرقية —

(*) تقدر قيمتها على الأرجح بنحو ٦٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال أمريكى من نقود هذه الأيام

(**) يتفق أبلوطرخس ، وكوينتس كورتيس وديودور فيما يروونه عن هذه القصة ، وهى لا تتعارض مع ما عرف عن الإسكندر من تهور واندفاع ، ولكن من واجبنا مع ذلك أن نقابل هذه الرواية بشىء من الشك .

جيشاً جديداً عدته ألف ألف مقاتل(١٤٨) — يتألف من فرس ، وميديين ، وبابليين ، وسوريين ، وأرمن ، وكبادوكيين ، وبلخيين ، وصغد ، وأرخزيان . وساكى ، وهنود . ولم يسلحهم بالقسى والسهام ، بل جهزهم بالحراب ، والرماح ، والدروع ، وأركبهم الخيل والفيلة والعربات ذات الدواليب التى ركبت فيها المناجل لكى يحصد بها أعداءه حصد الحنطة فى الحقول .

حشدت آسية العجوز هذه القوة الهائلة لتحاول بها مرة أخرى أن تدفع عن نفسها أوربا الناهضة الفتية . والتقى الإسكندر ومعه سبعة آلاف من الفرسان ، وأربعون ألفاً من المشاة بهذا الخليط المختل النظام غير المتجانس ، ودارت رحى القتال عند كوا كميلا(*) . واستطاع بتفوق أسلحته وحسن قيادته وشجاعته أن يبدد شمله فى يوم واحد — واختار دارا مرة أخرى أن يفر من الميدان ، ولكن قواده ساءهم هذا الفرار المزرى للمرة الثانية ، فقتلوه غيلة فى خيمته . وأعدم الإسكندر من استطاع أن يقبض عليهم من قاتليه ، وأرسل جثة دارا مكرمة إلى برسپوليس فى موكب حافل ، وأمر أن تدفن كما تدفن أجسام الملوك الأكمينيين . وسرعان ما انضوى الشعب الفارسى تحت راية الإسكندر إعجاباً منه بكرم أخلاقه ونضرة شبابه . ونظم شئون فارس وجعلها ولاية من ولايات الدولة المقدونية وترك فيها حامية قوية لحراستها ، ثم واصل زحفه إلى الهند .

(*) وهى مدينة تبعد ستين ميلا عن إربل ، وقد سميت هذه الواقعة باسمها .

المراجع

الباب السابع

1 Cambridge Ancient History, i,86, 361 ; Childe, *The Most Ancient East*, 126 ; Keith in N Y. *Times*, April 3, 1932.

2. Breasted, J. H., *Oriental Institute*, 8.

3. Childe, 128, 146.

4. De Morgan, 208 ; CAH i, 362, 578.

5. Moret, 199 ; CAH, i, 361 579,

6. Woolley, C. L., *The Sumerians* 189.

7. Jastrow, Morris, *The Civilization of Babylonia and Assyria*, 101.

8. CAH, i, 127.

9. Pijoan, i, 104; Ball C. J , in Parmelee, M., *Oriental and Occidental Culture*, 18.

10. Childe, 160, 173; Maspero, G., *Dawn of Civilization*, 718-20.

11. CHA, i, 456.

12. Berosus in CAH, i, 150.

13. Maspero, *Stuggle of the Nations*. iv.

14. Woolley, 69; CAH, i, 387.

15. Ibid , 388.

16. Woolley, 73; CAH, i, 403.

17. Harper, R.F., ed., *Assyrian and Babylonian Literature*, 1.

18. CAH, i, 405.

19. Woollelly, 140; Maspero, *Dawn*, 637; CAH, i, 427.

20. Ibid , i, 435.

21. Ibid , i, 472.

23. Jastrow, 7 ; Maspero, *Dawn*, 554; Childe, *Ancient East*, 124 ; CAH, i, 463.

24. Woolley, 112-4.

25. Childe. 170.

26. Woolley, 13.

27. Delaporte, L., *Mesoostamia*, 112.

28. Woolley, 13 ; Delaporte, 172. CAH, i, 507 : N.Y. *Times*, Aug. 2, 1932.

29. Childe, 147.

30. Ibid , 169 ; *Encyc. Brit.*, ii, 845 ; Delaporte, 106.

31. Ibid., Woolley, 117-8, CAH, i, 427.

32. Woodlley 92, Delaporte, 101.

33. Woolley , 126. CAH, i, 461.

34. Maspero, *Dawn*, 709f.

35. Ibid., 606-7, 722, Woolley, 79, CAH, i, 540.

36. Maspero, *Dawn*. 721-3.

37. CAH. i, 461.

38. Woolley. 93.

39. Maspero, 655.

40. CAH, i, 443-4, 448.

41. Jastrow, 277.

42. Woolley, 126.

43. Jastrow, 130.

44. Woolley, 13.

45. Ibid., 120.

46. CAH, i, 400.

47. Langdon, S.. *Bobylonian Wisdom*, 18-21.

48. Woolley, 108-9.

49. Ibid., 13.

50. Jastrow, 466.

(+) سنثبت اسم الكتاب كاملا عند أول وروده فى هذا الثبت ثم نكتفى بعد ذلك بذكره مختصراً .

31. Woolley, 106.
32. CAH, i, 370-1; Woolley, 40, 43, 84
33. Ibid., 92, 101.
34. CAH, i, 376.
35. Maspero, *Dawn*, 723-8; CAH, i, 871-2.
36. Maspero, *Struggle*, iv.
37. CAH, I, 550; iii, 226.
38. Woolley, 87.
39. Delaporte' 172.
40. Woolley, 37, 191.
41. Maspero, *Dawn*, 709-18.
42. Jastrow, 106; Woolley, 40, 144; Maspero, 630.
43. Ibid., 601.
44. Schäfer, H., and Andrae, W., *Die Cunst des Alten Orients*, 469; Woolley 66.
45. CAH, I, 440.
46. Woolley, 46; N. Y. *Times*, April 18, 1934.
47. Schäfer, 482.
48. Ibid., 486.
49. Woolley, 188; CAH, i, 463.
50. Moret, 164; Childe, *Ancient East*, 216.
51. Hall, H.R., in *Encyc. Brit*, viii, 45.
52. Maspero, *Dawn*, 46; CAH, i. 255.
53. Ibid., 372.
54. Ibid., 255, 263, 581, De Morgan, 102, Hall, A.R., l.c.
55. Ibid., CAH, i, 579.
56. CAH, i, 263. 581.
57. CAH, i, 252, 581, Hall, l.c., 44-5.
58. De Morgan 102.
59. Hall, l.c. CAH, i, 581.
60. Such objects are pictured for comparison in De Morgan, 102.
61. Woolley, 187, Hall, l.c., 45.
62. Smith, G. Elliot, *The Ancient Egyptians and the Cr.gin of Civilization*, xii.

الباب الثامن

1. Strabo, *Geography*, I, iii, 4.
2. Maspero, *Dawn*, 24.
3. Erman, A., *Life in Ancient Egypt*, 13, CAH, i, 317.
4. Erman, 29.
5. Diodorus Siculus, I,I xilv, 3. The face value of the talent in the time of Diodorus was $ 1,000 in gold, worth in purchasing power some $ 10,000 today.
6. *Encyc. Brili*, vii, 42.
7. In Capart, J., *Thebes*, 40.
8. The Harris Papyrus in Capart, 237.
9. Capart, 27, Breasted, J. H., *Ancient Records of Egypt*, ii, 131.
10. CAH, i, 116, ii, 110.
11. Breasted, *Ancient Times*, 97, 455, CAH, i, 117.
12. Ibid., 116.
13. De Morgan, 25, CAH, I, 33-6, Keith in N. Y. *Times*, Oct. 12, 1930, Moret, 117f.
14. Breasted in CAH, i, 86.
15. *Encyc. Brit.*, viii, 42, Moret, 119, De Morgan, 92.
16. Moret, 119, CAH, i, 270-1.
17. Smith.G.Elliot, *Human History*, 264, Childe. *Acient, East*, 38.
18. Pittard, 419, CAH, i, 270-1, Smith, G. Elliot *Ancient Egyptiants*, 50.
19. CAH, 1, 872, 255, 263, De Morgan, 102.
20. Maspero, *Dawn*, 45, CAH, i, 244-5 251-6, Pittard, 413, Moret, 158, Smith *Ancient Egyptiants*, 24.
21. Maspero, *Passing of the Empires*, viii, De Morgan, 101.
22. Diodorus, I, xciv, 2. Diodorus adds, by way of comparison: "Among the Jews Moyses referred his laws to the god who is invoked as Iao."

23. Ibid , I. xlv, 1.
24. *Encyc Brit.*, viii, 45.
25. Schäfer, 209.
26. Ibid., 247.
27. Ibid. 211.
28. Ibid., 228-9.
29. Herodotus, II, 124.
30. Capart, J., *Lectures on Egyptian Art.* 98.
31. CAH, i, 335.
32. Maspero, *Art in Egypt.* 15.
33. Schäfer, 248.
34. Herodotus, II, 86.
35. In Cotterill, *History of Art*, i, 10
36. Breated, J. H., *Development of Religion and Thought in Ancient Egypt.* 203.
37. CAH, i, 308.
38. Beasted, J.H., *History sf Egypt* 266-7.
39. Breasted, *Ancient Records*, ii, 78-121, Maspero, *The Struggle of the nations*, 236-7.
40. Ibid., 237-9, Breasted, *History*, 273, White, E. M., 49.
41. CAH, ii, 65.
42. Ibid., ch. iv.
43. Ibid., 79.
43a. Breasted, *History.* 320.
44. Weigall, A., *Life and Time of Akhnaton*, 8.
45. Erman, 20.
46. So a stele of Amenhotep III expresses it in Capatt, *Thebes*, 182.
47. Ibid., 182, 197.
48. Diodorus, I, xxxi, 8.
49. Herodotus, II, 14.
50. Eman, 199.
51. Herodotus, II, 95.
52. Maspero, *Dawn*, 330.
53. Genesis xlvii, 26.
54. Erman, 441.
55. Erman, A., *Literature of the Ancient Egyptians*, 187.
56. Maspero, *Dawn*, 65, Lippert. 197.
57. Maspero, *Dawn*, 331-2.
58. Moret, 357.
59. Rickard, T. A. i, 192-203, De Morgan, 114.
60. Diodorus, III, xli. tr. by Rickard, i, 209-10.
61. Erman, *Life* 45-5.
62. Breasted, *Ancient Times*, 64, Maspero, *Struggle* 739.
63. Miiller-Lyer, *Social Development*, 105.
64. Diodorus, I, lxxiv, 6.
65. Ibid.
66. Hobhouse, *Morals in Evolution* 283.
67. Erman, *Life*, 124-5.
68. Maspero, *Struggle*, 441.
69. Diodorus, I, lii, Rickard, i, 183.
70. N. Y. *Times*, April 16, 1933.
71. Herodotus, II, 124; Wilkinson in Rawlinson's Herodotus, ii, 200n.
72. Capart, *Thebes*, 32.
73. Erman, *Life* 488-93, Borchardt and Ricke, *Egypt.* p. v.
74. CAH, ii, 423.
75. Erman, *Life*, 494.
76. Maspero, *Struggle*, 109.
77. Ibid., 285, 289, 407, 582, CAH, ii, 79.
78. Maspero, *Dawn*, 330, Schneider H., i, 86.
79. CAH, it, 212.
80. Diodorus, I, lxxvii, 2.
81. Diodorus, I, lxxv, 3.
82. Summer, *Folkways*, 236.
83. Diodorus, I, lxxviii, 3.
84. Hobhouse, 108, Maspero, *Dawn*, 337, 479 - 80, Erman, *Life* 141.
85. Maspero, *Dawn* 337.
86. Capart, *Thebes*, 161.
87. Breasted, J. H., *Dawn of Conscience*, 208-10.
88. Erman, *Life*, 67; Diodorus, i, lxx.
89. Erman, *Life* 121.
90. Moret, 124.
91. Erman, *Literature*, 27.
92. Maspero, *Dawn*, 278.
93. Breasted, *History*, 75.
94. Erman, *Life*, 153, Summer, *Folkways*, 485.

96. Maspero, *Dawn*, 51.
96. Erman, *Life*, 76.
97. In Briffault, i, 384.
98. In White, E. M., 46.
99. Petrie, Sir W. F., *Egypt and Israel*, 28.
100. Hobhouse, 187.
101. Ibid., 187.
102. Ibid., 186; Erman, *Life*, 185.
103. Petrie, 23.
104. Frazer, *Adonis*, 397.
105. Briffault, i, 384.
106. Diodorus, I, lxxvii, 7; lxxv, 3
107. Maspero, *Sturggle*, 272.
108. Briffault, ii, 174.
109. Ibid., 383.
110. Maspero, *Struggle*, 503; Erman, *Life*, 155.
111. Ibid, Sanger, W. W., *History of Prostitution*, 40-1; Georg, 172.
112. Erman, *Life*, 247f.
113. Summer, *Folkways*, 541; Maspero, *Struggle*, 536.
114. Erman, *Life*, 387.
115. In Breasted, *Dawn of Cnscience* 324; cf. Proverbs, xv, 16-7. For further correspondence between the Egyptian and the Jewish authors cf. Breasted, 372-7.
116. Hobhouse, 247; Maspero, *Dawn* 269; *Struggle*, 228.
117. Strabo, XVII, 1, 53.
118. Erman, *Literature*, xxxix; 47.
119. Maspero *Dawn*, 195 *Encyc. Brit.*, vii, 329.
120. Spearing, 230.
121. Maspero, *Dawn*, 47 8, 271.
122. CAH, ii. 422.
123. Breasted, *History*, 27, Erman, *Life*, 229f, Downing. Dr. O., *Cosmetics, Past and Present*, 208ff.
124. CAH, ii, 421.
125. Maspero, *Struggle*, 504, Eman, *Life* 212.
126. Schäfer, 235.
127. Summer, *Folkways*, 191, Maspero, *Struggle* 494, CAH, ii, 421.
128. Maspero, *Dawn*, 57, 491 f.
129. CAH. ii, 421.
130. Diodorus, I, lxvxi, Mencken, H. L., *Treatise on the Gods*, 117.
131. Spencer, *Sociology*, iii, 278.
132. Erman, *Life*, 328, 384.
133. Ibid., 256, Erman, *Literature*, xliii.
131. Ibid., 185.
135. Erman, *Life*, 256, 328.
136. Schneider, H., I. 94.
137. Erman, *Life*, 447, Breasted; *History*, 97.
138. Erman, *Literature*, xxxvii, xlii.
139. Maspero, *Dawn*, 46.
140. Erman, *Life* 333f Breasted *Ancient Times*, 42, Maspero, *Dawn*, 221-3, De Morgan, 256.
141. Father Batin, address at Oriental Institute, Chicago, March 29, 1932, CAH. i, 189, Sprengling, M., *The Elphabet, possim.*
141a. N. Y. *Times*, Oct. 18, 1934.
142. Maspero, *Dawn*, 398.
143. CAH, i, 121, Erman, *Literature*, I, Breasted, *Development*, 178.
144. Breasted, J. H., *Oriental Institute*, 149f.
145. Erman, *Life*, 370.
146. Erman. *Literature*, 30-1
147. Ibid., 22-8.
148. Maspero, *Dawn*, 438.
149. Maspero, *Struggle*, 499.
150. Maspero, *Dawn*, 497.
151. Breasted, *Dawn of Conscience*, 71.
152. Erman, *Literature* 35-.
153. CAH, ii, 225.
154. Exs. in Erman, *Literature*, xxx-xxxiv.
155. Erman, *Life*, 386.
156. Schneider, H., i, 81.
157. Breasted, *Ancient Records*, i, 61
158. Schneider, H, i, 91-2.
159. Erman, *Literature*, 109.
160. Erman, *Literature*, xxv-vii, Maspero, *Struggle*, 494f.
161. Maspero, *Dawn*, 204.
162. Hall, M. P., *An Encyclopedic Outline of Masonic, Hermetic.*

Qabbalistic and Rosicrucian Symbolic Philosophy, 37

163 Sedgwick, W.T., and Tyler. H W., *A Short History of Science*, 312.

164. Maspero, *Dawn*, 328.

165. Sedgwick and Tyler, 29.

166. Schneider, H., i, 85-6.

167. CAH, ii, 216, *Encyc. Brit*, viii, 57.

168. Sedgwick and Tyler, 29.

169. Ibid., 89: Breasted, J. H., *Conquest of Civilization*, 88.

170. Williams, H. S., *History of Science*, i, 41

171. Ibid., i, 34.

172. Spencer, *Sociology*, iii, 251

173. Tabouis, G.R. *Nebuchadnezzar*, 318; Breasted, *Ancient Times*, 91.

174. Strabo, XVII. i. 46; Diodorus, I, I, 2.

175 Herodotus, II, 4; CAH, i, 248, Breasted, *History*, 14, 33; *Ancient Times*, 45; Erman, *Life* 10, Childe, *Ancient East*, 5; Williams, H.S., i, 38f, Maspero, *Dawn*, 16-7, 205-9, Moret, 134, Schneider, H., i, 85, Sedgwick and Tyler, 33 Fraze *Adonis*, 280, 286-9, *Encyc. Brit.*, iv, 576, v, 654.

176. Ebers Papyrus, 99, 1f. in Erman, *Life*, 357-8

177. Ibid, 353.

178. Garrison, 57.

179. Herodotus, II,84; III, I.

180. Erman, *Life* 362.

181. Garrison, 55-9, Maspero, *Dawn*, 217, Breasted *Conquest of Civilization*, 88.

182. Smith, G. Elliot, *The Ancient Egyptians*, 57.

182a. Himes, Norman, *Medical History of Contraception*, Chap. II, § 1. The suppositories contained chemicals identical with those now used in contraceptive je lies. The matter, however, is not beyond doubt.

183. Erman, *Life*. 360, Maspero, *Dawn*, 219-20, Harding. T. Swann. *Fads*, 325

184. Garrison, 53

185. Smith, G.E., *Ancient Egyptians*, 62, Diodorus, I, xxviii, 3.

186. Breasted, *Dawn of Conscience*, 358n.

187. Diodorus, I, lxxxii, 1-2.

188. Pliny, *Historia Naturalis*, VIII, in Tyrrell, Dr. C. A., *Royal Road to Health*, 57.

189. Herodotus, II, 77.

190. Erman, *Life*, 167-69, Capart, *Thebes*, figs. 4 and 107-9.

191. Maspero, *Art*, 132.

192. Pijoan. i, 101. Fregusson, Jas., *History of Architecture in All Countries*, i, 22. Breasted. *History*, 100.

193. E. g., Maspero, *Struggle*, m.

194. At Beni-Hasan, Light. etc.

195. At Medinet-Habu.

196. Maspero *Art*. 84.

197. Schäfel. *Tafel* VI; Breasted, *Dawn*, 218.

198. Fry, R.E. *Chinese Art*, 13.

199. Schäfer, 358, Capart, *Lectures*, fig. 176.

200. Maspero, *Art*, 174.

201, Schäfer, 345, CAH, ii, 103.

202. Baikie, Jas., *Amarna Age*, 241, 256. All three are in the State Museum, at Berlin.

203. Cairo Museum, Maspero, *Art*, fig. 461, Schäfer, 433.

204. Athens Museum, Maspero, *Struggle*, 535.

205. Schäfer, 445.

206. Louvre, Schäfer 190.

207. Cairo Museum, Schäfer, 246-7.

208. Cairo Museum, Schäfer, 254.

209. Capart, *Thebes*. 173f.

210. Cairo Musseum, Breasted, *History*, fig. 55, Maspero, *Art*, fig. 92.

211. Ibid., fig. 194.

212. Schäfer, *Tafel*. IX.

213. E.g., Schäfer, 305, 418.

214. Maspero. *Art*. fig. 287.

215. Schäfer, 367.
216. Ibid., *Tafel* XXI.
217. Maspero *Art.* 67.
218. Erman, *Life*, 448; CAH, ii, 422
219. CAH, ii, 105; Erman, 250-1.
220. Breasted, *Ancient Records*, ii, 147.
221. Spencer, *Sociology*, iii, 299.
222. Cf. Plato, *Timaeus*, 22B.
223. Maspero, *Dawn*. 399.
224. Brown, B., *Wisdom of the Egyptians*, 96-116; Breasted *Dawn*, 136f.
225. Ibid., 198.
226. Breasted, *Development*, 215.
227. Ibid., 189; *Dawn of Conscience* 168.
228. Breasted, *Development*, 182.
229. Maspero, *Dawn*, 639.
230. Ibid.. 86.
231. Ibid., 95. 92.
232. Ibid., 156-8.
233. Ibid., 120-1.
234. Renard, 121.
235. Capart, *Thebes*, 66; Maspero, *Dawn*, 119 *Struggle*, 536.
236. Maspero, *Dawn*, 102-3.
237. Briffault, iii, 187.
238. Hommel in Maspero, *Dawn*, 45.
239. Howard, Clifford, *Sex Worship*, 98.
240. Diodorus, I. lxxxviii, 1-3; Howard, C., 79; Tod, Lt-Col. Jas., *Annalsand Antiquities of Radjasthan*, 270, Briffault, iii, 205.
241. Carpenter, *Pagan and Christian Creeds* 183.
242. Maspero *Dawn*, 110-1.
243. Breasted, *Development*, 24-33, Frazer, *Adonis*, 269-75, 383.
244. Diodorus, I, xiv, 1.
245. Frazer, *Adonis*, 346 50, Maspero, *Dawn*, 131-2, Macrobius, *Saturnalia*, I, 18, in McCabe, Jos., *Story of Religious Controversy*, 169.
246. *Encyc. Brit.*, 11th ed., ix, 52.
247. Moret 5, Maspero, *Dawn*, 265,
248. Herodotus, II, 37.
249. Breasted, *Dawn of Conscience*, 46, 83.
250. Breasted, *Development*, 293, Brown, B. *Wisdom of the Egyptians*, 178, Maspero, *Dawn* 199.
251. Translation by Robert Hillyer, in Van Doren, Mark, *Anthology of World Poetry*, 237.
52. In Maspero, *Dawn*, 189-90.
253. Breasted, *Development*, 291.
254 Erman, *Life* 358; exs in Erman, *Literature*, 89-13.
255. Maspero, *Dawn*, 282, Briffault, ii, 510.
256. Erman. *Life*, 352.
257. Herodotus, II, 82.
258. Breasted *Development*, 296,308.
258a. Capart *Thebes*, 95.
259. Ibid., 76.
260. In Weigall, *Akhnaton*, 86.
261. Breasted, *Development*, 315.
262. E.g., Breasted, *Ancient Records*. ii, 369.
263. Breasted, *Development*, 324f.
264. The parallelisms are listed in Weigall, *Akhnaton*, 134-6, and in Breasted, *dawn of Conscience*, 182f.
265. Breasted. *Development*, 314.
266. Weigall, 102, 105.
267. Capart, *Lectures*, fig. 104.
268. Weigall, 103.
269. Petrie in Weigall, 178., Breasted *History*, 378.
270. Weigall, 116, Baikie, 284.
272. Baikie, 435.
273. CAH, ii. 154, Breasted, *History* 446.
274. Ibid., 491.
275. Capart, *Thebes*, 69.
276. Erman, *Life*, 129.
277. Weigall, A., *Life and times of Cleopatra*.
278. Faure, Elie, *History of Art*, i, p. xlvii.

الباب التاسع

1. Maspero, *Passing of the Empires*, 783.
2. CAH, i, 399.
3. The quotation are from Heraclitus, *Fragments*, and Mallock, W., *Lucretius on Life and Death.*
4. Harper, R. F., *Code of Hammurabi*, 3-7
5. Jastrow, M., *Civilizotion of Babylonia and Assyria*, 283.4.
6. Sumner, *Folkways*, 501.
7. CAH, iii, 250.
8. Harper, *Code*, 99-11.
9. CAH, i, 489; Maspero, *Struggle*, 43-4.
10. Maspero, *Dawn*, 759; Rawlinson, *Five Great Monarchies of the Ancient Eastern World*, iii, 22-3; McCabe, 141-2; Delaporte. 194-6.
11. CAH, ii, 429; iii. 101.
12. Harper, *Assyrian and Babylonian Leterature*. 220.
13. Maspiro, *Passing*, 567.
14. Jastrow, 466.
15. Danil, iv, 30.
16. Rawlinson, it, 510.
17. Herodotus, I, 178. Strabo, to prove his moderation, says 44 XVI, i, 6).
18 Tabouis, 306.
19. Rawlinson, ii, 514; Herodotus I, 180.
20. Diodorus, II, x, 6; Strabo, XVI,
21. Tabouis, 307.
22. Herodotus, I, 181.
23. CAH, i, 503.
24. Diodorus, II, x, 6; Strabo, XVI, i, 5; Maspero, *Passing*, 564, 782; CAH, i, 506-8; Rawlinson, ii, 517.
25. Maspero, *Dawn*, 761.
26. CAH, i, 541.
27. Berosus in Tabouis, 307.
28. Maspero. *Dawn*, 763-4; Delaporte, 107.
29. Maspero, *Dawn*, 556.
30. Strabo, XVI, i, 15. Attendants extinguished the flames with torrents of water.
31. Layard, A. H., *Nineveh and its Remains*, ii, 413.
32. *Code of Hammurabi*, sections 187-9; Delaporte, 113.
33. Lowie, *Are We Cifilized ?* 119; CAH, i, 501.
34. Lowie, 60, Maspero, *Dawn*, 769; CAH, i, 107, 501; ii, 227.
35. East India House Inscription in Tabouis, 287.
36. Xenophon, Cyropædia. V, iv. 33. The probable invention of this letter by Xenophon hardly lessens its pertinence.
37. Tabouts, 210.
38. Maspero. *Dawd*. 751-2.
38a. Jastrow, 29n.
39. Ibid., 326; CAA, i, 545. Maspero *Dawn*. 749, 761, Delaporte, 118, 126, 231, Tabouis, 241.
40. Cf. e. g, Harper, *Assyrian and Babylonian Literature*, xlviii-iv.
41. *Encyc. Brit*, ii, 863.
42. *Code*, 48.
43. CAH, i, 526, Maspero, *Dawn*, 760, Delaporte, 110, Jastrow, 299.
44. Delaporte, 122, Maspero, *Dawn*, 720.
45. CAH, i, 520-1, Maspero, *Dawn*, 742-4, Jsstrow, 326.
46. Maspero, 735.
47. Ibid., 708.
48. Olmstead, A. T., *History of Assyria*, 525-8.
49. *Cade*, 2. 132.
50. Delaprte, 134.
51. *Code*, 196.
52. 210.
53. 198.
54. Ibid.
55. 202-4
56. 195.
57. 218.

58. 194.
59. 143.
60. CAH, i, 517-8.
61 *Code*, 228f.
62. Jastrow, 305, 362; Maspero, *Dawn*, 748, CAH, i, 526
63. Harper, *Code*, p. ll,
64. Jastrow, 488, CAH, i, 618.
65. CAH, iii, 237.
66. Maspero, *Dawn*, 679, 750, CAH, i, 535.
67. Delaporte, 133-4.
68. Maspero, 636.
69. CAH, i, 529-32.
70. Maspero, 645-6.
71. Ibid., 644.
72. Ibid. 644.
73. Briffault, iii 169.
74. CAH, i 208, 530.
75. Ibid, 500.
76. Briffault, iii, 88.
77. Daspero, 537.
78. Cf. Langdon, *Babyloian Wisdom*, 18-21,
79. Maspero, 646.
80. Ibid., 666-72.
81. Jastrow, 453-9, Frazer, *Adonis*, 6-7, Briffault, iii, 90, CAA, i, 461, iii, 282.
82. Briffaut, iii, 90, Harper, *Assyrian and Babylonian Literature*. liii.
83. Cf. e.g., Harper, 420-1.
84. Tabouis, 387.
85. Jastrow, 280, Maspero, 691-2.
86. Ibid., 687.
87. Ibid., 681-6.
88. Ibid., 689, Jastrow, 381, CAH. i, 531.
89. Jastrow, 249.
90. Maspero, 962.
91. Tabouis, 159, 165, 351.
92. Briffault, iii 94.
93. Woolley, 165.
94. CAH, iii, 216-7.
95. Harper, *Literature*, 433-9.
96. Maspero, 682.
97. Jastrow, 253-4, Maspero, 643, Harper, lix.
98. Jastrow, 2141-9.
99. Ibid., 267, Tabouis, 343-4, 374.
100. Williams; H. S., i, 74.
101. Tabouis, 365,
102. Herodotus, I, 199, Strabo, XVI, i, 20.
103. "This view is now generally discredited."—Briffault, iii, 203.
104. So Farnell thinks — Sumner *Folkways*, 541. Frazer (Adonis, 50) rejects this interpretation.
105. Frazer, 53.
106. Briffault, iii, 203.
107. Amos ii, 7, Sumner and Kelir, ii, 1273.
108. Frazer, 52, Lacroix, Paul, *History of Prostitution*, i, 21-4, 109.
109. Brjffault iii, 220.
110. Jastrow, 309.
111. Maspero, 738-9.
112. Schneider, H., i. 155.
113. CAH, i, 547.
114. Ibid., 500-3, Hobhouse. 180, Maspero, 734.
115. Ibid.
116. Herodotus, I, 196, Several writers, however, described the custom as flourishing 400 years after Herodotus, cf. Rawlinson's *Herodotus*. i, 271
117. Maspero, 737.
118. Section 132.
119. Sumner, *Folkways* 378.
120. 141-2, Jastrow, 302-3.
121. 143.
122. CAH, i, 524, Maspero, 735-6, *Code*, 142.
123. *Encyc. Brit.*, ii, 869
124. Maspero, 739.
125. Harper, *Literature*, xlviii, CAH. i, 520.
126. Woolley, 118, White, E. M., 71-5.
127. Maspero, 793.
128. Ibid., 735-8.
129. III, 159.
130. Layard, ii, 411, Sanger, 42.
131. Herodotus, I, 196.
132. V, I, in Tabouis, 366.
183. Delaporte, 199.

134. Jastrow. 31. 69-97; Mason. W. A.. 266; CAH. i. 124-5.
135. Jastrow. 275-6; Delaporte. 198; Schneider. H.. i. 181; Breasted. *Conquest of Civilization*. 152.
136. Schneider. i. 168
137. Maspero. 564; CAH. i. 150.
138. Leonard. W. E. *Gilgamesh*. 3.
139. Ibid.. 8.
140. Maspero 570f.
141. Delaporte. ix.
142. Jastrow. 415.
143. Pratt. *History of Music* 45; Rawlinson. iii. 20; Schneider. i. 168; Tabouis. 354; CAH. i. 533.
144. Perrot and Chipiez *History of Art in Chaldea and Assyria* ii. 292.
145. Cf. "The Lion of Babylon" Jastrow Plate XVIII. a work of glazed tile from the reign of Nebuchadrezzar II.
146. Herodotus. I. 180.
147. Tabouis. 313.
148. Jastrow. 10; Maspero. 624-7.
149. Jastrow. 258. 261. 492 ;Maspero 778-80; Strabo. XVI. i. 6; Rawlinson. ii. 580.
150. Sarton. Geo., *Introduction to the History of Science*. 71.
151. Rawlinson. ii. 575; Schneider. i. 171-5; Lowie. 268; Sedgwick and Tyler 29; CAH. iii. 288f.
152. Tabouis. 47. 317
153. Schneider. i. 171-5.
154. Maspero. 545.
515. Tabouis. 204. 356.
156. New Orleans *States*. Feb. 24, 1932.
157. *Code*. 215-7.
158. 218.
159. Maspero 780f; Jastrow. 250 f.
160. Ibid; Tabous. 294. 393.
161. Herodotus. I. 197; Strabo XVI. i. 20.
162. Schneider. i. 160.
163. Jastrow. 475-83; Landon. II. 35-6.
164. Ibid. 1.
165. Jastro. 461-3.
166. Tabouis. 254. 382.
167. Daniel. iv. 33.
168. Tabouis. 230. 264, 388.
169. Maspero *Passing* 626.
170 CAH. iii. 208. Jastrow. 184. believes that it was the priestly party which, disgusted with the heresies of Nabonidus, admitted Alexander.
171. Jastrow, 185;CAH, i, 568.

الباب العاشر

1. CAH, i. 468.
2. New York *Times*. Dec. 26. 1932.
3. CAH. ii. 429.
4. Olmstead. 16; CAH. i. 126.
4a. N. Y. *Times*. Feb. 24. 1933; Mar. 20. 1934.
5. CAH ii. 248.
6. Harper. *Literature*. 16-7.
7. Jastrow. 166-7; Maspero. *Struggle*, 663-4.
8. Ibid, 50-2; Maspero. *Passing*. 27. 50.
9. Ibid, 85. 94-5; CAH. iii. 25.
10. Diodorus. II. vi-xx; Maspero, *Struggle*, 617; CAH, iii, 27.
11. Maspero *Passing*. 243.
12. Olmstead, 309.
13. Maspero. *Passing*, 275-6.
14. Ibid. 345; CAH. iii. 79.
15. Harper. *Literature* 94-127.
16. Delaporie. 343-4.
17. Maspero, *Passing*. 412f.
18. Olmotead. 488. 494; CAH. iii. 88. 127; Jastrow. 182; Delaporte 223.
19. Diodorus. II. xxiii. 1-2.
20. Olmsterd. 519. 525-8. 531. Maspero. *Passing*, 401-2.
21. Rawlinson. ii, 235.
22. CAH, iii, 100.
23. Maspero. *Passing*, 7.
24. Ibid., 9-10.

25. Rawlinson, i, 474.
26. Ibid., 467.
27. Maspero, *Struggle*, 627-38.
28. EAH, iii, 104-7; Rawlinson, i, 477-9.
29. CAH, l.c.
30. *Encyc Brit*, ii, 865.
31. Ibid., 868.
32. Maspero. *Passing*, 422-3.
33. Olmstead, 510, 531.
34. Ibid., 522-3, 558
35. CAH, iii, 186.
35a. Olmstead, 331.
36. Rawlinson, i' 405.
37. Olmsteed. 537.
38. Ibid., 518; Maspero, *Passig*, 317-9; CAH, iii, 76, 96-7; Delaporte, 353; Rawlinson, i, 401-2.
39. CAH, iii, 107.
40. Ibid.; Delaporte, 285, 352.
40a. Olmstead, 624.
41. Maspero, *Passing*, 269.
42. Delaporte, 282; CAH, iii, 104-7.
43. Maspero, *Passing* 91, 262.
44. Olmstead, 87.
45. CAH, iii, 18.
46. Delaporte, viii
47. Faure, i, 90.
48. Maspero, 545-6.
49. CAH, iii, 90-1.
50. Ibid., 89-90.
51. Delaporte, 354.
52. CAH, iii, 102, 241, 249.
53. Breasted, *Ancient Times*, 161; Jastrow, 21.
54. Maspero, 461-3.
55. *Encyc. Brit.*, ii, 851.
56. Rawlinson, i. 277; Delaporte, 338; Jastrow, 407; CAH, iii, 109.
57. Schäfer, 555; now in the British Museum.
58. Schäfer, 631.
59. Ibid, 646; In the British Museum.
60. Oriental Institute, Chicago.
61. British Museum.
62. Schäfer, *Tofel* XXXIV.
63. Ibid., 537, 558-9; Jastrow, f. p. 24.
64. Faure. i, 91; Br. Mus.
65. Rawlinson, i, 509.
66. Schäfer, 656.
67. E.g., Baikie, f. p. 213; and Pijoan, i, figs. 175-6.
68. Fergusson, *History of Architecture*, i, 35, 174-6, 205
69. Rawlinson, i, 299.
70. Layard, ii, 262f.
71. Jastrow, 374; translation slightly improved.
72. Br. Mus.
73. Rawlinson, i, 284.
74. CAH, iii, 16, 75-7; Maspero, *Passing*, 45; 260; Pijoan, i, 121, 111-8; Jastrow, 415; Schäfer, 542-3.
75. Maspero, *Passing* 460.
76. Harper, *Literature*, 125-6.
77. CAH, iii, 127.
78. Diodorus, ii, xxiii, 3.
79. Preserved in Diodorus, II, xxvii, 2. Cf. Maspero, *Passing*, 418.
80. Nahum, iii, 1.

الباب الحادى عشر

1. Cowan, A. R., *Master-cues in World-History*, 311; Petrie, *Egypt and Israel*, 26.
2. Breasted, *Conquest of Civilization*, 192n.
3. *Encyc. Brit.*, xi, 600-1.
4. Horzny, F, *ibid*, 603.
4a. New York *World-Telegram*, Mar. 16, 1935.
5. Ibid., 606. Certain archeologists (e. g., Hrozny) have been especially moved by the lenience of the Hittite code with sexual perversions.
6. CAH, iii, 200.
7. Herodotus, IV. 64.
8. Maspero. *Passing*, 479f. Hippocrates, *Airs, Waters, Places*,

xvii-xxii.
9. Ibid., xvii.
10. Frazer, *Adonis*, 219f.
11. Ibid., Maspero, *Passing*. 333.
12. Frazer. 34, 219-24, Hall, M. P., *An Encyclopedic Outline of Masonic Philosophy*, 36
13. Herodotus, I, 93.
14. Ibid., I, 87.
15. Febvre, L., *Geographical Introduction to History*, 322.
16. Moret, 350.
17. Herodotus, II, 44.
18. Strabo, XVI, ii, 23.
19. Diodorus Siculus V, xxxv; Rickard, i, 276.
20 *Decline and Fall of the Roman Empeire*, ed. 1903, i, 296, in Rickard, i, 278.
21. Maspero, *Struggle*, 192f, 203, 585; Day, Clive, *A History of Commerce*, 12-14; Briffault, i, 463; Sedgwick and Tyler, 14.
22. Rickard, i, 283.
23. Herodotus, IV, 42.
24. Maspero, *Struggle*, 199, 740-1.
25. Arrian, II, xv.
26. Ibid., VI, 220
27. Zechariah, ix, 3.
28. XV, ii. 23.
29. Frazer, *Adonis*, 183-4; Maspero, *Struggle*, 174-9; Bebel, A., *Woman under Socialism*, 39; Briffault, iii, 220; Sanger, *The Histsry of Prostitution*, 42.
30. Sedgwick and Tyler, 15; Doane, T. W., *Bible Myths*, 41.
31. E.g., Herodotus, V. 58.
32. Dussaud, in Venkateswara, 328.
33. CAH, i, 189.
34. Maspero, *Struggle*, 572f.
35. *Proceedings of the Oriental Institute*, Chicago, March 29, 1932.
36. New York *Times*, Aug. 8, 1930,
37. Ward, C. O., *The Ancient Lowly*, ii, 83, 85.
38. CAH, ii, 328-9.
39. Frazer, *Adonis*, 32-5.
40. Ibid., 225-7; Maspero *Struggle*, 154-9.
41. Ibid., 160-1.
42. Deut., xviii 10; 2 Kings, xxiii, 10 Sumner. *Folkways*, 554.
43. Frazer, 84; Maspero, *Passing*, 80; CAH iii, 372.
44. Mason, W. A., *History of the Art of Writing*, 306; Maspero, *Passing*, 35; Rivers, W. H., *Instinct and the Unconscious*, 132.

الباب الثانى عشر

1. Exod. iii, 8; Numb. xiv, 8; Deut. xxvi, 15, etc.
2. Quoted in Huntingdon, E., *The Pulse of Asia*, 368.
3. New York *Times*, Jan. 20, 1932, May 17. 1932
4. CAH, ii, 719n; *Encyc. Brit.*, xiii, 42.
5. Gen. xi, 31.
6. Petrie, *Egypt and Israel*, 17.
7. CAH, ii, 356.
8. Breasted, *Dawn of Conscience*, 349.
9. Maspero, *Struggle*, 70-1, 442-3.
10. Exod. xii, 40, Petrie, 38.
11. Exod. i, Deut. x, 22.
12. Exod. i, 12.
13. Josephus, *Works*, ii, 466, *Contra Apion*, i.
14. Strabo, XVI, ii, 35, Tacitus, *Histories*, V; iii, tr'n Murphy, London, 1930, 498.
15. Exod. v, 4-6, Ward, *Ancient Lowly*, ii, 76.
16. Schneider, i, 285.
17. United Press Dispatch from London, Jan. 25, 1932.
18. New York *Times*, April 18, 1932.
19. Numb. xxxi, 1-18, Dent. vii, 16, xx, 13-17, Joshua viii, 26,

x. 24f, xii.
20. Ibid., xi, 23; Judges v, 31.
21. CAH, iii, Maspero, *Passing*, 127; *Struggle*, 752; Buxtron, *Peoples of Asia*, 97.
22. Renan, *History of the People of Israel*, i, 86.
23. Schneider, i, 300; Mason, *Art of Writing*, 289.
23a. N. Y. *Times*, Oct. 18, 1934.
24. Maspero, *Struggle*, 684.
25. Judges xvii, 6.
26. I Sem. viii, 10-20; cf Dent. xvii, 14-20.
27. Judges xiii-xvi; xv, 15.
28. 2 Sam. vi, 14.
29. I Kings ii, 9
30. 2 Sam. xi
31. 2 Sam. xviii, 33.
32. I Kings iii 12.
33. I Kings iv, 32.
34. I Kings ix, 26-8.
35. Ibid.
36. I Kings x.
37. Ibid., x, 14.
38. *Jewish Encyclopedia*, ix, 850; Graetz, H., *Popular History of the Jews*, i, 271.
39. Renan, ii, 100.
40. 2 Chron. ix, 21.
41. Maspero, *Struggle*, 737-40.
42. Josephus, *Antiquities*, VII, 7.
43. I Kins iii, 2
44. I Chron. xxix, 2-8.
45. CAH, iii, 347.
46. Ibid.
47. 2 Chron, iii, 4-7; iv, *passim*
48. 2 Chron. ii, 7-10, 16; I Kings v, 6
49. 2 Chron. ii, 17-18.
50. Cf. I Kings vi, I, with vii, 2.
51. Fergusson, *History of Architecture*, i, 209-11.
52. Shotwell, J., *The Religious Revolution of Today*, 30.
53. Josephus, VIII, 13.
54. CAH, iii, 428.
55. Numb. xxi, 8-9; 2 Kings xviii, 4.
56. Allen, G., *Evolution of the Idea of God*, 1921; Howard, C., *Sex Worship*, 154-5.
57. Smith, W. Robertson, *Religion of the Ancient Simetes*, 101.
58. Reinach, *History of Religions* (1930), 176-7.
59. Exod. vii.
60. New York *Times*, May 9, 1931.
61. Exod. xii, 7, 31.
62. Exod. xxxiii, 19.
63. Gen. xxxi, 11-12.
64. Exod. xxxiii, 23.
65. I Kings xx, 23
66. Exod. xv, 3.
67. 2 Sam. xxii, 35.
68. Exod. xxiii, 27-30.
69. Lev. xxv, 23.
70. Exod. xiv, 18.
71. Numb. xxv, 4.
72. Exod. xx, 5-6.
73. Ibid., xxxii, 11 14.
74. Numb. xiv, 13-18
75. Gen. xviii.
76. Deut. xxviii, 16-28, 61. Cf. the formula of excommunication in the case of Spinoza, in Willis, *Benedict de Spinoza*, 84.
77. Exod. xx, 5; xxxiv, 14; xxiii, 24.
78. Ruth i, 15; Judges xi, 24
79. Exod, xv, 11; xviii, 11.
80. 2 Chron. ii, 5.
81. Ezek. viii, 14.
82. Jer, ii, 28; xxxii, 35.
83. 2 Kings u, 15.
84. 2 Sam. vi, 7; 1 Chron. xiii, 10.
85. Sumner, *Folkways*, 554.
86. CAH, iii, 461f.
87. Numb. xviii, 23.
88. Ezra vii, 24.
90. Numb. xviii, 9f.
91. Isaiah xxviii, 7; Judges viii, 33; ix 27; 2 Kings xvii, 9-12, 16-17; xxiii, 10-18; Lamentations ii, 7.
92. Ezek. xvi, 21; xxiii, 37 : Isaiah, lvi. 5.
93. Amos ii, 6.
94. CAH, iii, 458-9; Frazer, *Adonis*, 66.
95. Jer. xxix, 26.
96. Maspero, *Passing*, 783.
97. Applied by G. B. Shaw to Christ

in "The Revolutionist's Handbook," appended to *Man and Superman*.

98. CAH, vi, 188.
99. Like Isiah xl-lxvi.
100. CAH, iii, 462.
101. Amos v-vi.
102. Ibid., iii, 12, 15.
103. New York *Times*, Jan. 7, 1934.
104. Hosea viii, 6-7.
105. Kings xviii, 27; Isaiah xxxv, 12
106. Maspero, *Passing*, 290; CAH, iii, 390.
107. Sarton, 58.
108. Isaiah vii, 8.
109. Ibid., xvi,7.
110. III, 14-15; v, 8; x, 1f.
111. I, 11f.
112. Amos ix, 14-15.
113. Isaiah vii, 14; ix, 6; xi, 1-6; ii, 4. The final passage is repeated in Micah iv, 3.
114. Hosea xii, 7.
115. 2 Kings xxii, 8; xxiii, 2; Chron. xxxiv, 15, 31-2.
116. Sarton, 63; CAH, iii, 482.
117. 2 Kings xxiii, 2, 4, 10, 13.
118. 2 Kings xxv, 7.
119. Psalm CXXXVII.
120. Jer. xxvii, 6-8.
121. XV, 10; xx, 14.
122. V, 1.
123. V, 8.
124. XXXIV, 8f.
125. VII, 22-3.
126. XXIII, 11; v, 31; iv, 4; ix, 26.
127. XVIII, 23.
128. IV, 20-31; v, 19; ix, 1.
128a. Arguments for doubting Jeremiah's authorship of *Lamentations* may be found in the *Jew. Encyc.*, vii, 598.
129. Lam. i, 12; iii, 38f; Jer. xii, 1
130. Ezek. xvi, xxiii,
131. Ibid., xxii, xxxviii, 2.
132. Ibid., xxxvi.
132a. CAH, vi, 183; *Enc. Brit.*, iii, 503.
133. Isaiah lxi, 1.
134. Ibid., xi, 3, 10-11; liii, 3-6.
134a. AH. iii, 498.
135. LXV, 25.
136. XLV. 5,
137. XL, 12, 15, 17, 18, 22, 26.
138. Ezra i,7-11; Maspero, *Struggle*, 638f; *Bassing*, 784.
139. Nehemiah x, 29.
140. 2 Kings xxii, 10; xxiii, 2; Nehem. viii, 18.
141. CAH, vi, 175.
142 *Enc. Brit.*, iii, 502.
142a. *Jew Encyc.*, v, 322.
143. Ibid.; Sarion, 108; Maspero, *Passing*, 131-2.
144. CAH, iii, 481.
145. Doane, *Bible Myths*, chapter i, *passim*.
146. Ibid., 10.
147. Ibid., ch. i.
148. Cf. Doane, 18-48.
149. Sarton, 63.
150. Renan, iv, 163.
151. Reinach (1930), 19; Frazer, Sir J. G., *The Golden Bough*, 472.
152. Exod. xxi-ii; Lev. xviii.
153. Spencer, *Sociology*, iii, 189.
154. Garrison, *History of Medicine*, 67.
155. Ibid.
156. Ibid.
157. Briffault, iii, 331.
158. Renan, i, 105.
159. Diodorus Siculus I, xciv, 1-2; Doane, 59-61.
160. Diodorus, Ibid.
161. Lev. xxiv, 11-16; Deut. vii, xiii, xvii, 2-5,
163. Petrie, *Egypt and Israel*, 60-1; CAH, iii, 427-8.
164. Ezra i, 7-11.
165. 2 Chron. v, 13.
166. 2 Sam. vi, 6.
167. *Enc. Brit.*, 11th ed., xv, 311; *Jew. Encyc.*, vii, 88.
168. Briffault, ii, 433; Sumner and Keller, ii, 1113.
168a. Reinach (1930),195; *Jew. Encyc.* v. 377.
169. Gen.xxiv, 58; Judges i, 12.
170. Howard, 58.

172. Judges iv, 4.
173. 2 Kings xxii, 14.
174. Briffault, iii, 362; Howard, 49; Dubois,212; Sumner, *Folkways*, 316, 321.
175. Gen. xxx, 1.
176. Cf. Maspero, *Struggle*, 733, 776; CHA, ii, 373.
177. Maspero, ibid.
178. Cf. 2 Kings iii, 18-19; Joshua vi, 21, 24.
179. 1 Kings xx, 29.
180. Deut. vii, 6; xiv, 2; 2 Sam.vii, ; 28, etc.
181. Sanger, *History of Prostitution*, 36.
182. Ibid., 35; Gen. xiv, 24-5.
183 Sanger, 37-9.
184. Gen. xxix, 20.
185. Deut. xxi, 10-14.
186. Judges xxi, 20-1.
187. Gen. xxxi, 15; Ruth iv, 10; Hobhouse, *Morals in Evolution*, 197f; Briffault, ii, 212; Lippert, 310.
187a. Westermarck, *Moral Ideas*, ii. 609; White, E. M., *Woman in World History*, 109f.
188. Gen. xxx.
189. Dent. xxv, 5.
190. Lev. xx, 10; Deut. xxii, 22.
191. Westermarck, i, 427.
193. Deut. xxiv, 1; Western arck,ii, 649; Hobhouse, 197f.
194. Gen. xxiv, 67.
195. Lev. xxv, 28.
196. Renard, 160; CAA, i, 201.
197. Deut. xv, 6; xxviii, 12.
198. Sumner, *Folkways*, 276.
199. 2 Kings iv, 1; Matt. xviii, 25.
200. Lev. xxv, 14, 17.
201. Exod. xxi, 2; Deut. xv, 12-14.
202. Lev. xxv, 10.
203. Deut. xv, 7-8; Lev. xxv, 36.
204. Exod. xxi, 10; Deut. xxiv, 19-20.
205. Gen. xxiv, 2-1.
206. Greatz, i, 173.
207. Deut. xvii 8-12.
208. Numb. v, 27-9.
209. Ibid., 6-8.
210. Exod. xxi, 15-21; xxii, 19.
211. Exod. xxii, 18.
212. Numb. xxxv, 19.
213. Deut. xix.
214. Exod. xxi, 23-5; Lev. xxiv.9-20.
215. Exod. xx, 17.
216. Renan, ii, 307.
217. *Jew. Encyc*, vii, 381; Graetz. i, i, 224.
218. *Enc. Brit.*, iii, 504. The *Psalms* seem to have been collected in their present from ca. 150 B.C.—Ibid., xxii, 539.
219. In the poem entitled "Walt Whitman." sect, 44; *Leaves of Gross*, 84-5.
219. The *Jew Encyc.*, xi, 467, assigns its composition to 200-100 B.C.
220. Songs. of Solomon i' 13-16; ii, 1 5, 7, 16, 17; vii, 11, 12.
221. Prov. vii, 26; vi, 32; xxx, 18-19.
222. Ibid, v, 18-1-19; xv, 17.
223. Ibid., vi, 6, 9.
224. XXII, 29.
225. I, 32; xxviii, 20.
226. XIV, 28; xxviii, 11, xvii, 28.
227. XVI, 22; iii., 13-17.
228. *Enc. Brit*, iii, 504.
229. Jastrow, M., *Book of Job*, 121.
230. Kallen, H., *Book of Job as a Greek Tragedy*, Introduction.
230a. Carlyle,Thos.,*Complete Works*, Vol. i, *Heroes and Hero-Worship* p. 280, Lect. II.
231. Job vii, 9-10; xiv, 12.
232. Psalm LXXIII, 12.
233. Psalms XLII, XLIII, 23;LXXIV 22; LXXXIX, 46; CXV, 2.
234. Job xii, 2-3, 6; xiii, i, 4-5.
235. XXXI, 35.
236. Renan. v, 148; Jastrow, *Job*, 180
237. Job xxxviii, 1—xl, 2. It has been argued that these chapters are an independent "nature-poem," artificially attached to the *Book of Job*.
238. Job xlii, 7-8.
239. Sarton, 180.
240. Eccles i, 1.

241. Ibid., vii, 15; iv 1; v, 8.
242. IX, 11.
243. V, 10, 12
244. V, 11.
245. VII, 10.
246. I, 9-10.
247. I, 11.
248. I, 2-7, iv, 2-3: vii, 1.
250. VIII, 15; ii, 24; v, 18; ii, 1.
251. VII, 28, 26.
252. IX. 8.
253. XII, 12.
254. VII, 11, 16.
255. Exod. xxxiii, 20.
256. Eccles. i, 13-18.
257. III, 19, 22; xix 10. For the Talmudic interpretation of the final chapter of *Ecclesiastes*, cf. Jastrow, M, *A Gentle Cynic*. 189f.
258 Josephus, *Antiquities, XI*, 8; *Works*, i, 417. The account is questioned by some critics-cf. *Jew. Encyc.*, i, 342.

الباب الثالث عشر

1. Huart, C, *Ancient Persian and Iranian Civilization*, 25-6.
2. Maspero, *Passing*, 452.
3. Herodotus, I, 99.
4. Ibid., i. 74.
5. Rawlinson, ii, 370.
6. Daniel vi, 8.
7. Rawlinson, ii, 316-7.
8. Huart, 27.
9. Herodotus, I, 119.
10. *Encyc Brit.*, xvii, 571.
11. Kawlinson, iii, 389.
12. Maspero. 668-71.
13. Rawlinson, iii, 393.
14. Herpdotus, III, 134.
15. Sykes, Sir P., *Persia*, 6.
16. XV, iii, 10.
17. The population estimates are those of Rawlinson, iii 422, 241.
18. Strabo, XV, ii, 8; Rawlinson, ii, 306; iii, 164; Maspero, 452.
19. Dhalla, M. N., *Zoroastrian Civilization*, 211, 222, 259; Rawlinson, iii 202-4; Köhler, Carl, *History of Costume* 75-6.
20. Rawlinson, iii, 211, 243.
21. Adapted from Rawlinson, iii, 250-1.
22. Huart 22.
23. Schneider, i; 350.
24. Mason, W. A, 264.
25 Dhalla. 141-2.
26. Herodotus, I, 126.
27 Strabo, XV, iii, 20; Herodotus, I, 133.
28. Dhalla, 187-8.
29. Herodotus, V, 52.
30. CAH, iv, 200.
31. Dhalla, 218.
32. Ibid., 144, 257; Miiller, Max, *India : What Can It Teach Us?*, 19.
33. Rawlinson, iii, 427.
34. CAH, iv, 185-6.
35. Rawlinson, iii, 245.
36. Ibid., 171-2.
37. Ibid., 228; Plutarch, *Life of Artaxerxes*, chs. 5-17.
38. Rawlinson, iii, 221.
39. Dhalla, 237.
40. Ibid., 89.
41. Rawlinson, iii, 241.
42. Herodotus, VII, 39. But perhaps Herodotus had been listening to old wives' tales.
43. Dhalla, 95-9.
44. Ibid., 106.
45. Herodotus, V, 25.
46. Darmesteter, J., *The Zend-Avesta* i, p. lxxxiii.
47. Ibid.
48. Huart, 78; Darmesteter lxxxvii; Rawlinson, iii, 246.
49. Ibid., Sumner, *Folkways*, 236.
50. Plutarch, *Artaxeres*, in *Lives*, iii, 464.
51. Rawlinson, iii, 427; Herodotus III, 95; Maspero, Passing, 690f;

CAH, iv, 198f.
53. Maspero, 572f.
54. Vendidad, XIX, vi, 45.
55. Darmesteter, i, xxxvii; *Encyc. Brit.*, xxiii, 987.
56. Dawson, M. M., *Ethical Religion of Zoroaster*, xiv.
57. Rawlinson, ii, 323.
58. Edouard Meyer dates Zarathustra about 1000 BC.; so also Duncker and Hummel (*Encyc Brit.*, xxiii, 987; Dawson, xv); A. V. W Jackson places him about 660-583 B.C. (Sarton, 61).
59. Briffault, iii, 191.
60. Dhalla, 72.
61. Schneider, i, 333; CAH, iv, 210f; Rawlinson, ii, 323.
62. *Encyc Brit* , xxiii, 942-3; Rawlinson, ii, 322; Dhalla, 38f.
63. Ibid., 40-2; *Encyc Brit.*, xxiii, 942-3; Maspero, *Passing*, 575-6; Huart, xviii; CAH, iv. 207.
64. *Encyc. Brit.*, l.c.
65. Darmesteter, xxvvii, Oour, Sir Hari Singh, *Spirit of Buddhism*, 12.
66. Vend. II. 4, 29, 41.
67. Ibid., 22-43.
68. Darmesteter, lxii-iv.
69. Yasna, xliv, 4.
70. Darmesteter, lv, lxv.
71. Dawson. 62f.
72. *Encyc. Brit* , xxiii, 988.
73. Dawson, 46.
74. Maspero, *Passing*, 583-4; Schneider, i, 336; Lawlinson, ii, 340.
75. Dawson, 125.
76. *Shayast-Shayast*, XX, 6, in Dawson, 131.
77. Vend. IV, 1.
78. Ibid., XVI, iii, 18.
79. Herodotus, I, 134.
80. *Shayast-Shayast*, VII, 6, 7, 1, in Dawson, 36-7.
81. Westermarck, *Morals*, ii, 434; Herodotus, VII, 114; Rawlinson, iii, 35on.
82 Strabo, XV, iii, 13; Maspero, 592-4.
83. Reinach (1930), 73; Rawlinson, ii, 338.
84. The "Ormuzd" Yast, in Darmesteter, ii, 21.
85. Nask VIII, 58-73, in Darmesteter, i, 380-1.
86. Vend., XIX, v. 27-34; Vast 22; Yasna LI, 15; Maspero, 590.
87. Yasna XLV, 7.
88 Dawson, 246-7.
89. Ibid., 256f.
90. Ibid., 250-3.
91. CAH, iv. 211.
92. Cf., e.g., Darmesteter, i, pp; lxxii-liii.
93. CAH, iv, 209.
94. Dhalla, 201, 218; Maspero, 595.
95. Harper, *Literature*, 181.
96. Dhalla, 250-1.
97. Herodotus, IX, 109; Rawlinson, iii, 170.
98. Ibid., iii. 618; 524.
99. Ibid., 170.
100. Strabo, XV. iii, 20.
101. Dhalla. 221
102. Herodotus, I, 80; Xenophon, *Cyropaedia*, I, ii, 8; VIII, viii, 9; Strabo, XV, iii, 18; Rawlinson, ii. 236.
103 Dhalla, 155; Dawson, 36-7.
104. Dhalla, 119, 190-1.
105. E.g., Vend. IX.
106. Darmesteter, i, p. lxxviii.
107. Vend. VIII, 61 5.
108. I, 4.
109. I, 135.
110. Vend. VIII, v, 32; vi, 27.
111. Strabo, XV. iii, 17; Vend. IV, iii, 47.
112. Ibid., iii, 1.
113. XV, ii, 20f.
114. XX, i, 4; XV, iv, 50-1.
115. XXI, 1, 1.
116. Maspero, 588. These cases were apparently confined to the Magi.
117. Herodotus, VII, 83; IX, 76; Rawlinson, iii. 238.
118. Esther, ii, 14; Rawlinson. iii, 219.
119. Dhalla, 74-6. 219; Rawlinson, iii, 222, 237.

119a. Plutarch, Artaxerxes, *Lives*, iii, 463-6.
120. Dhalla, 70-1.
121. Herodotus, I, 139; Dhalla, 219.
122. Vend. XV, 9-12; XVI, 1-2.
123. Bnndahis, XVI; 1, 2, in Dawson, 156.
124. Venkateswara, 177; Dhalla, 225.
125. Ibid , 83-5; Dawson, 151.
126. Herodotus, I, 136.
127. Strabo, XV, iii, 18.
128. Darmesteter, i, p. lxxx.
129. Vend. VII, vii, 41f.
130 Ibid., 36-40.
131. Rawlinson, iii, 235.
132. N. Y. *Times*, Jan. 6, 1931.
133. Dhalla, 176, 195. 256; Rawlinson, iii, 234.
134. N. Y. *Times*, Jan 23, 1933.
135. Dhalla, 253-4.
136. Rawlinson, iii, 278.
137. N. Y. *Times*, July 28. 1932.
138. Fergusson, *History of Architecture*, i, 198-9; Rawlinson, iii, 298.
139. Breasted in N. Y. *Times*, March 9, 1932.
140. CAH, iv, 204.
140a. Dhalla, 260-1.
140b. Rawlinson, iii, 244, 400.
141. Maspero, 715.
142. Arrian, *Anabasis of Alexrndr*, I, 15.
143. Josephus, *Antiquities*, XI viii, 3.
144. Arrian, I, 16.
145. Quintus Curtius, III, 17.
146. Arrian, II, 11, 13; Plutarch; *Life of Alexander*, ch. 20.
147. Quintus Curtius. X, 17, CAH, vi, 369.
148. Plutarch, *Alexander*, ch. 31; Arrian, III, 8.